مجلة البيان – العدد 60 ، شعبان 1413هـ / فبراير 1993م

كلمة صغيرة

أحداث صغيرة ومتتابعة تلك التي يشهدها المسلمون في هذه الأيام ، ومجلة ثقافية شهرية مـثل (البيان) لابد أن تركز على أحداث معينة تجتهد في إبرازها وتجليتها للقارئ لتتضح أبعادها ومرامي السياسة العالمية حولها، وللمسلم المثقف رؤية تخالف الصحفي الذي همّه الإثــارة ، أو الذي يوجه الحدث كما يريد ، ومن هذا المنطلق تابعنا في هذا العدد أحداث الـمـبـعـديـن عن أهلهم وديارهم في فلسطين المحتلة ، وأحداث طاجكستان الأخيرة ، وما تقوله الصحف الغربية عن مأساة البوسنة التي فاقت كل المآسي، والتي تجسد فيها الحقد الصليبي واضحاً .

المحرر

الافتتاحية

السياسة العليا

رئيس التحرير

عندما بدأ الغرب مشروعه الاستعماري لإحكام السيطرة على العالم الإسلامي،وشد أنشوطة الحبل حول عنقه - كما عبر توينبي - كان قد مهد لهذا بأخبث الأساليب وأمكرها. وهي تغـيـيـر عقل المسلم وإزاحة الثقافة الإسلامية، ووضع المناهج المناسبة، وتأسيس الـمـدارس والجامـعـات فـنـشـأت أجـيـال مهزومة من الداخل ، مهزوزة الشخصية، كانت وما زالت دماراً ووبالاً على الأمة.

جاء في مجلة (العالم الإسلامي) الفرنسية : "إن المدارس التي أنشأها المبشرون في الآستانة وغيرها من البلاد العثمانية، قــد كان تأثيرها في حل المسألة الشرقية أعظم من عمل جميع سفراء الدول ومعتمديهم السياسيـيـن "(1)، وقال اللورد سالسبوري : "إن مدارس المبشرين أول خطوة من خطوات الاستعمار، فـهـي تحدث في البلاد التي تنشأ فيها انقساماً وتفريقاً بين أهلها، يفقدون بها وحدتهم ، فيكونون عوناً للمستعمر على أنفسهم "(2).

إذا كان الغرب قد اتخذ التعليم والمناهج منطلقاً له في مشروعه الاستعماري ، فلماذا لا يبدأ المسلمون رحلة العودة والتجديد، ورحلــة البناء والقوة من هذا المنطلق ، وعندما نتكلم عن المناهج ، فلا نعني المناهج المقررة في الـمـدارس فـقـط ، فهذه قد يكون من الصعوبة تغييرها أحياناً، وإنما نعني المناهج العلمية التربوية بشكل عـام. فـمـثـل هــذه إذا خرجت للوجود فسوف

تستفيد منها المدارس الخاصة، والأسرة المسلمة، والمسجد والمـركــز الإسلامي. هذه الأعـمـال من البديهيات إذا أمعنا النظر فيها، وهي لا تكلف المسلمين عناء ومـشـقــة، إذا قيست بمـا يـجـب عـلـيـهم من الأعمال الكبيرة، ولكننا مع الأسف لم نقم بها، لأن مرض السهولة، والبقاء في دائرة العموميات جعلنا نستصعب مثل هذه الأمور، والأمثلة كثيرة: "السيرة النبوية، العقيدة الإسلامية، اللغة العربية"، هل وضعنا المناهج المناسبة للأطفال ، وللناشئة، وللشباب ، وبأسـلــوب بسيط وشيق ، يتناسب مع أعمارهم وعقولهم وثقافتهم ، أم أن مرض السهولة جعلنا نختار أي كتاب لنقرره منهجاً، وقد يكون الكتاب جيداً ولكنه لا يتناسب مع عمر الطفل وثقافته.
ثم نأتي إلى المدارس الإســلامـيـة، والمعاهـد التربوية، والتي عليها مدار تخريج أجيال لا تحمل بين جوانحها أمـراض التخلف والتـبـعـيـة، تنشأ إنشاء على حب هذا الدين وعلى الاستقلالية والثقة بالنفس ، هذه المدارس كان لها بدايات في منتصف هذا القرن ولكنها لم تكن قوية بالدرجة الكافية ثم عادت إلى الظهور هـنـا وهناك ، ولكنها ما زالت تحبو وهي في نقص كبير في المناهج والمربين ، ومن جهة أخرى فــإن هـذه المدارس وخاصة في أفريقيا وآسيا قليلة تغالبها مدراس التبشير أو التي هي شبيهة بالتبشير، وإن أصقـاعـاً بعيدة مثل بلاد أوزبكستان وبقية تلك الجمهوريات ، لهي بأشد الحاجة إلى مدارس تعيد الأجيال إلى إسلامها، وتخرج شباباً معافى من أمراض المجتمعات التي يعيشونها، أكثر مــن حاجتهم إلـى أموال توزع عليهم. وحاجتهم إلى الدعاة الذين يعلمونهم مثل حاجتهم إلى الـمــدارس وكـذلـك استثمار الأموال في الزراعة والصناعة، وقد سبقتنا (إسرائيل) إلى تلك المناطق كما جاء في مقابلة مع (ديفيد كيمحي) حين قال : "لنا مصالح أكبر واهتمامات أعظم في إقامة علاقــات مــع الجـمـهــوريـات الإسلامية، ونحن نشعر أنه بوسعنا أن نقدم لهم المساعدة الاقتصادية)(3)، يجب أن نـبــدأ بـهــذه الأعمال بعيداً عن التمزق والتشنج الذي يجتاح العالم الإسلامي ، وبعيداً عن المكر والإبعاد الذي يمارس على شخصية المسلم الثقافية.
إن العمل الهادئ القوي هو إعداد الـمـنـاهــج وإنشاء المدارس والجامعات ، ولقد استبشرنا بإنشاء أول مدرسة ومركز إسلامي فـي دولــة ألبانيا، الخارجة للتو من جحيم الشيوعية، ونقول لأصحاب الهمّ الإسلامي ولأصحاب العقول التي تخطط لمستقبل، هذه هي (السياسة العليا).

الهوامش :

1- عدد نوفمبر 1911 م.
2- مجلة المنار المجلد 21/274.
3- الوسط 4/ 1 /1993.

في إشراقة آية

((إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً))

د. عبد الكريم بكار

في هذه الآية خير عظيم، إذ فيها البشارة لأهل الإيمان بأن للكرب نهاية مهما طال أمده ، وأن الظلمة تحمل فـي أحـشـائـهـا الفـجــر المنتظـر. وتلك الحالة من التعاقب بين الأطوار والأوضاع المختلفة تنسجم مع الأحوال النفسية والـمـاديــة لـبني البشر والتي تتأرجح بين النجاح والانكسار والإقبال والإدبار، كما تنسجم مع صنوف الابـتـلاء الــذي هـو شـرعــة الحياة وميسمها العام.

وقد بث هذه الآية الأمل في نفوس الصحابة - رضوان الله عليهم- حـيـث رأوا فـي تـكــرارهـا توكيداً لوعود الله - عز وجل - بتحسن الأحوال ، فقال ابن مسعود: لو كان العسر في جـحــر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه. وذكر بعض أهل اللغة أن (العسر) معرّف بأل ، و(يسراً) منكر، وأن العرب إذا أعادت ذكر المعرفة كانت عين الأولى، وإذا أعادت النكرة فكانت الثانـيـة غير الأولى(1).

وخرجوا على هذا قول ابن عباس : لن يغلب عسر يسرين (2).

وفي الآية إشارة بديعة إلى اجتنان الفرج في الشدة والكربة مع أن الظاهر أن الرخاء لا يزامن الشدة، وإنما يعقبها، وذلك لتطمين ذوي العسرة وتبشيرهم بقرب انجلاء الكرب.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الاستبشار بهذه الآية حيث يرى المسلمون الكثير من صنوف الإحـبـاطات والهزائم وألوان القهر والنكد ؛ مما أدى إلى سيادة روح - التشاؤم والـيــأس، وصار الكثيرون يشعرون بانقطاع الحيلة والاستسلام للظروف والمتغيرات. وأفرز هذا الوضع مقولات يـمـكـن أن نسـمـيـها بـ "أدبيات الطريق المسدود"! هذه الأدبيات تتمثل بالشكوى الدائبة من كل شيء ، من خذلان الأصدقاء، ومن تآمر الأعداء، من تركة الآباء والأجداد، ومن تصرفات الأبناء والأحفاد!

وهؤلاء المتأزمون يسلطون أشعة النقد دائماً نحو الخارج؛ فهم في ذات أنفسهم على مايرام، وغـيـرهـم هـو الذي يفعل كل ما يحدث لهم! وإذا رأوا من يتجه إلى الصيغ العملية بعيداً عــن الرسم في الفراغ أطفؤوا حماسته بالقول : لن يدعوك تعلم ، ولن يدعوك تربي ، ولن يدعوك تمسي عملاقاً، ولن يدعوك...

وكل ذلك يفـضـي إلـى متحارجة (كذا) تنطق بالصيرورة إلى العطالة والبطالة، إلى أن يأتي المهدي ، فيكونون مــن أنصاره أو يحدث الله - تعالى - لهم من أمره فرجاً ومخرجاً !

ولعلنا نلخص الأسباب الدافعة إلى تلك الحالة البائسة فيما يلي :

1- التربية الخاصة الأولى التي يخضع لها الفرد:

وتلك التربية قد تقوم ببـث روح التشاؤم واليأس من صلاح الزمـان وأهله ، كما تقوم ببث نوع من العداء بينه وبين البيئة التي ينتمي إلـيهـا فإذا ما قطع أسبابه بها وانعزل شعورياً بحث عن نوع من الانتماء الخاص إلى أسرة أو بـلـدة أو جمـاعــة حتى ينفي عنه الشعور بالاغتراب. لكن يكتشف أن ما كان يعتقد فيه المثالية، ويتشوق إلى تحقيق آماله من خلاله لا يختلف عن غيره كثيراً، مما يورثه الإحباط واليأس حيث يفـقـد الثـقـة بكـل ما حوله وتـكــون النتيجة الـبـرم والـتـأفـف من كل شيء وردود الأفعال السلبية تجاه التحديــات المختلفة.

2- التعامل مع الواقع على أنه كتلة صلدة:

يمـيـل أكثر الناس إلى النظرة التبسيطية التي لا ترى لكل ظاهرة إلا سبباً واحداً، ولا ترى في تركيبها إلا عنصراً واحداً. وهذه النظرة الخاطئة تفضي إلى معضلة منهجية كبرى، هي عدم القدرة على تقسيم المشكلة موضع المعاناة إلى أجزاء رئيسية وأخرى ثانوية، كما تؤدي إلى عدم القدرة على إدراك علاقات السيطرة في الظاهرة الواحدة، وعدم القدرة بالتالي على تغييرهــا أو تبديل مواقعها. والنتيجة النهائية هي الوقوف مشدوهين أمام مشكلة متكلسة مستبهمة لا نرى لها بداية ولا نهاية، والمحصلة النهائية هي الاستسلام للضغوط وانتظار المفاجآت ، مع أننا لو باشرنا العمل الممكن اليوم لصار ما هو مستحيل اليوم ممكنا غداً.

3- عدم الانتباه للعوامل الداخلية للمشكلة :

يندر أن نـرى الـيــوم ظـاهــرة كـبرى لا تخضع في وجودها واشتدادها واتجاهها لعدد من العوامل الداخلية والخارجية، ويظل العامل الخارجي محدود التأثير ما لم يستطع إزاحة أحد العوامل الداخلية والحلول محـلــه. ونستطيع أن نطـبــق ذلك على أية مشكلة كبرى نواجهها اليوم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة الباهرة حين قال : ((وإِن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً))[آل عمران 120]. والذي يـحــدث أنـنــا كـثـيـراً مـا نبصر المؤثرات الخارجية - وهي مؤثرات قاهرة حقاً - ونغض الطرف عن العوامل الداخـلـيـة ؛ فـنـحـن مـثـلاً لا نملـك إقناع الأعداء بأن يخففوا من غلوائهم في عدائنا، كما لا يملك بنو البشر جميعاً أن يمنـعوا الثلوج من التساقط ؛ لكن الذي نستطيعه هو تقوية أنفسنا حتى لا نكون لقمة سائغة، كما يفعل الناس في مواجهة ظروف المناخ. لكن المشكلة أن أصعب أنواع المواجهات هي مواجهة الذات ، وأن أرقى أنواع الاكتشاف هي اكتشاف الذات!

4- عدم إدراك حركة الجدل بين الأحوال :

تتعاقب الأحوال كمـا يتعاقب الليل والنهار، وما بعد رأس القمة إلا السفح وما بعد السفح إلا القاع. وإن دفع أيــة قـضـية إلى حدودها القصوى سيؤدي في النهاية إلى كسر ثورتها أو إنهائها بصورة تامة. وحين تصل تجربة أو نظرية أو

منهج إلى طريق مسدود فإن الناس لن يتلبثوا إلا قليلاً حتى يجدوا المخرج الذي قد يكون مناسباً، وقد لا يكون.
وهنا يأتي دور الثلاثي النكد من الأذكياء والعملاء والبلهاء الذين يحاولون - على اختلاف القصود - عدم وصول أي مشكلة إلى مرحلة الانفجار حتى تظل مستمرة إلى ما لا نهاية! والمشكلات في عالمنا الإسلامي لـم تدم تلك القرون المتطاولة إلا نتيجة الهندسة الإخراجية لذلك الثلاثي!! وهنا يأتي أيضاً دور المفكرين الذين يمتلكون رؤية نقدية شاملة ينقلون من خلالها مشكلات مجتمعاتهم إلـى حـس الـنـاس وأعـصـابهم حتى لا يتكيف الناس معها سلبياً، وحتى يتاح بالتالي تجاوزها.
((فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً * إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً))، وإن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب، وإن فـي رحم كـل ضائقة أجنة انفراجها ومفتاح حلها، وإن لجميع ما نعانيه من أزمات حـلـولاً مـناسبة إذا ما توفر لها عقل المهندس ومبضع الجراح وحرقة الوالدة.. وعلى الله قصد السبيل.

الهوامش :

1- انظر البحر المحيط 8/488.
2- السابق , وبعض المحدثين يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

من نور النبوة

فوائد من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

ستر الجعيد

الحديث :

روى مسلم عن أبي هريرة أو عن أبي سعـيد - شك الأعمش - قال : "لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله لـو أذنـت لـنـا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وأدهنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : افعلوا.
قال : فجاء عمر، فقال : يا رسول الله إن فعلت قلّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم بالـبـركــة لـعـل الله أن يجعل في ذلك ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : نعم ، قال : فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، قال : فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخـــر بكـف تمر، قال : ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال : فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، قال : فـأخــذوا فـي أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله -صلى الله

عليه وسلم- : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يـلـقـي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة"(1).

فيه فوائد:

1- التربية على الأخذ بالأسباب.
2- عمق تلك التربية.
3- المشورة وقبولها.
4- التراجع عن القرار ليس ضعفاً في القيادة.
5- كثرة البذل والتضحية مع قلة الإمكانات فكيف بالعكس؟
6- أهمية الربط بما يقوي الإيمان رغم حصول ما يستدعي ذلك فكيف في غير هذا الموطن؟
7- الإيمان بالمعجزات.
8- عظم البركة والدعاء بها.
9- قوة الضبط والتنفيذ في الجيش المسلم.

الهوامش:

1- رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، مسلم بشرح النووي ،1/225-236.

أهمية المنهج في العلوم والمعارف عامة، وفي علوم الشريعة خاصة

عثمان بن حسن

المنهج لغة من مادة نهج ، ينهج نـهـجـاً، وهو الطريق البين الواضح ، ويطلق على الطريق المستقيم. والمنهج، والنهج، والمنهاج : بمعنى واحد. وفـي الـتـنـزيـل قوله (تعالى): ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً))[المائدة 48]. قال ابن عباس (رضي الله عـنـهـمـا): "سـبـيـلاً وسـنـة"(1) وهـو مـروي عن مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري ، وغيرهم. وروي عن ابن عباس "سنة وسبيلاً" ورجـح ابـن كـثـيـر التفسير الأول؛ لظهوره في المعنى ومناسبته. وقال الحافظ بن حجر: "والمنهاج : السبيل ، أي الـطـريـق الواضح ". وفي الاصطلاح هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طـائـفـة مـن الـقــواعــد الـعامة؛ والتي تهيمن على سير العقل ، وتحدد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة. وبـعـبـارة أوجز: هو القانون ، أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال. ومـن ثـم تخـتـلـف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها؛ فلكل علم منهج يناسبه ، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون - وهو الغالب - مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد(2).

مما تـقـدم من تعريف للمنهج؛ يمكن القول : بأن علم المناهج علم بعدي؛ بمعنى أنه يقف من وراء العلوم؛ كي يحلل طرائقها ويحدد مسالكها. وعليه ، فالاشتغال بالقضايا العلمية، والمسائل التفصيلية في العلوم، غير الاشتغال بمسالك تلك القضايا والمسائل، وكيفية ورودها على هذه الحال، أو تلك الحال، ومعرفة مصادرها، وأدلتها؛ وهو ما يسمى عند المحدثين من العلماء بفلسفة العلوم(2).

أهمية المنهج في العلوم :

نشأت الحـاجــة - في أوربا - إلى تأصيل العلوم وتحديد مناهجها بعد الاضطراب الشديد الذي صاحب الـفـكــر الأوربي مـنـذ أمد بعيد، وحتى عصر النهضة "القرن السادس عشر الميلادي "؛ حيث ساد المنطق اليوناني في تلك الفترة، وكان منهجاً - في التفكير- عقيماً، لا يأتي بجديد؛ مما كان له أكبر الأثـر فـي تـعـطـيل العلوم والمعارف قروناً متطاولة. حتى اهتدى الأوربيون إلى المنهج الاستقرائي التجريبي فـي العلـوم؛ وذلك بفضل اطلاعهم على تراث المسلمين العلمي ، واحتكاكهم به ، واستفادتهم منه بصورة مباشرة مما ساعد - بل كان له أكبر الأثر - على تقدم العلوم وازدهارها عندهم (3).
إن مشكلة المنهج هي مشكلة العلم في صميمه؛ ذلك أن شرط قيام العلم وتقدمه ، أن تكون هناك طريقة صحيحة تطوى تحتها شتات الوقائع ، والمفردات المبعثرة هنا وهناك ، بغية تفسير ما قد يوجد بينها من روابط أو علاقات ، تنظمها قوانين محددة. وإن تأخر العلوم ناشيء - في العادة - عن تأخر المناهج؛ بمعنى أن لا تكون هناك مناهج محددة وواضحة، ومتفق عليها؛ فيسير كل عالم - في فنه - على غير هدى وبصيرة يخبط خبط عشواء، دون أن يصل إلى نتيجة مفيدة ؛ فتتعارض القضايا، وتضطرب المسائل.
فتقدم العلم وتأخره مرتهن بمسألة المنهج ، يدور معها وجوداً وعدماً، ولذا يمكن أن يقال: إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه ، كما إنه يضبط العقل البشري ، والأعمال الذهنية، بقواعد ثابتة، بحيث تعينه على الوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات. ويتضح الأمر بذكر أمثلة عليه.
ففي مجال العربية تجلت أهمية المنهج؛ وذلك حينما خالط المسلمين غيرهم من أمم الأعاجم ؛ فبدأ اللحن "يزحف إلى اللسان العربي ، الذي هو وسيلة فهم الكتاب والسنة، فانتدب أمير الؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أبا الأسود الدؤلي ، ليقعّد للناس ما يحفظون به لسانهم من الفساد(4).
قال ابن خلدون : "وخشي أهل الحلوم منهم ، أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد؛ فينغلق القرآن والحديث على الفهوم؛ فاستنبطوا من مجاري كلامهم ، قوانين لتلك الملكة، مطردة، شبه الكليات والقواعد؛ يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه ، مثل : أن الفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ، والمبتدأ مرفوع "(5) وقال (رحمه الله) في موضع آخر:

"وحين كان الكلام ملكة لأهله ، لم تكن هذه (النحو والصرف) علوماً، ولا قوانين ، ولم يكن الفقيه حينئذ يحتاج إليها؛ لأنها جبلته وملكته ، فلما فسدت الملكة في لسان العرب؛ قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ، ومقاييس مستنبطة صحيحة، وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله (تعالى)".
فنشأت علوم العربية، محافظة على صحة اللسان ، وصيانة له من اللحن؛ فكانت علوم النحو والصرف ، وما يسمى بفقه اللغة، الذي هو عبارة عن علم يحاول الكشف عن أسرار اللغة، والوقوف "على القوانين التي تسير عليها في حياتها(6).
ولما ضعفت - في الناس - العربية، وكثرت الوقائع والأحداث ، واحتاج العلماء إلى معرفة أحكامها الشرعية، وقد تعددت طرق الاجتهاد، والاستنباط ، وادعى الاجتهاد، والفقه في الدين ، من ليس من أهله؛ احتاج المسلمون إلى تأصيل الفقه وتقعيده ، وبيان مصادر الأحكام وأدلتها، ومعرفة حجية الأدلة، ومراتبها في الاستدلال ، وشروط هذا الاستدلال ، وتحديد مناهج الاجتهاد، والاستنباط ؛ بحيث يسير المجتهد على هديها عند تعرفه على الأحكام من أدلتها التفصيلية، وهو ما يعرف بأصول الفقه.
قال الفخر الرازي : الناس كانوا قبل الإمام الشافعي (رضي الله عنه) يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ، ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي (رحمه الله تعالى) علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع "(7) وقال ابن خلدون : "واحتاج الفقهاء والمحدثون إلى تحصيل هذه القوانين ، والقواعد؛ لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فناً قائماً برأسه
سموه : أصول الفقه "(8). وفائدة هذا العلم العظيم : أن يتمكن المجتهد من الحصول على قدرة، يستطيع بها استخراج الأحكام الشرعية من أدلتها، على أسس علمية صحيحة(9).
ولما ظهر الوضع في الحديث ، وضعفت الهمم عن الحفظ والرواية ؛ احتاج العلماء إلى تدوين قواعد ومناهج ، تعرف بها أقوال النبي _صلى الله عليه وسلم-، وأفعاله وأحواله ، وضبطها، وتحرر ألفاظها، ومعرفة أحوال رواتها، وطبقاتهم ، وأصناف مروياتهم ، إلى غير ذلك مما يتصل بهذا العلم؛ مما يساعد على معرفة حال
الحديث : سنداً ومتناً، من حيث القبول والرد. وبذلك يعرف صحيح الحديث من سقيمه ، ومرفوعه من موقوفه.. وهذا العلم فن أبرز ما يفتخر به المسلمون على غيرهم من الأمم؛ لدقته في أصوله ومسائله (10). وكذلك قعّد العلماء

في مناهج لتفسير القرآن الكريم؛ على نحو ما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية وتابعه في ذلك ابن كثير.
قال ابن تيمية - وهو يعرف بأصول التفسير -: "قواعد كلية تعين على فهم القرآن ، ومعرفة تفسيره ومعانيه ، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل.."(11).
أما في مجال العلوم الطبيعية فقد اعتمد العلماء المنهج الاستقرائي؛ الذي يقوم على أســس علمية ثابتة، تتمثل في ثلاث مراحل رئيسة :(12)
1- مرحلة البحث : وتتم عن طريقي الملاحظة والتجربة.
2- مـرحـلـــة الـفـرض : وفيها يفترض الباحث وجود علاقة ما بين الظواهر التي تجري عليها تجاربه.
3- مرحلة البرهان : وفـيـها يتحقق الباحث من صدق ما افترضه سابقاً؛ بحيث يتأكد من أن العلاقة التي لاحظها في مـرحـلـــة الفرض ، علاقة صحيحة، وأنها تنطبق على جميع الظواهر المماثلة للأفراد التي يدرسها. وبـعـدهـــا يستطيع إصدار حكم عام ، يشمل ما وقع تحت الملاحظة والتجريب ، وما لم يقع؛ لما يوجد بينها من التشابه..
ومـن ثـم تـتـقــدم الـعلوم بفضل هذا المنهج الذي يكشف عن القوانين التي تنتظم الظواهر، ومعرفة ما قد يربط بينها من علاقات.
ومن هنا تتضح أهمية المنهج في ضبط العلوم، وتحديد أهدافها، وطـرائـقـهــــا، بحـيـث لا تضطرب القضايا، وتتعارض المسائل ، مما يساعد على تقدم العلوم ، وحفظها من الدخـيل والـشــاذ، وصونها من الضياع والاختلاف ، كما ويشترط أن يكون المنهج واضح المعالم بيّن القسمات ، بحيث يسير الباحث على هدى، وبصيرة ؛ يعرف أين يقف ، وإلى أين يتجه.

الهوامش :

1- صحيح البخاري 1/46.
2- انظر: العلم والبحث العلمي لحسين عبد الحميد رشوان ، ص 143-145، ومنهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمد عبد الحميد مرسى ص 271-273..
3- انظر: العلم والبحث العلمي ، لرشوان ص 143-145 ،ومنهج البحث العلمي عند العرب لجلال موسى ص 273، وانظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، أحمد على الملا ص 115.
4- انظر: الفهرست لابن النديم.
5- مقدمة ابن خلدون ص 515.
6- انظر: فصول في فقه اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب ، ص 9 مكتبة الخانجي.
7 - مناقب الشافعي ، الرازي ص 357 .

8- مقدمة ابن خلدون ص 420.
9- انظر: الأصول من علم الأصول ، لمحمد بن صالح العثيمين ص 8.
10- روى الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي بكر محمد بن أحمد أنه قال : بلغني أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء، لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب ، والإعراب.
11 - مجموع الفتاوى 13/329.
12- انظر: رؤية معاصرة في علم المناهج ، د.علي عبد المعطي محمد، ص 255. والتفكير المنطقي بين المنهج القديم والمنهج الجديد، د. عبد اللطيف محمد العبد، ص 55.

خواطر في الدعوة

درس من السيرة

محمد العبدة

مرت الدعوة الإسلامية في طورها الأول بتجربة قاسية، فقد امتحن الصحابة الكرام وابتلوا بلاء شديداً، كما وقع لبلال وعمار وخباب -رضي الله عنهم أجمعين- ، وهـذا الابتـلاء لا بد منه في الدعوات ، حتى تصقل ويقوى عودها، ويزداد رجالها خبرة وتجربة وتمرساً في الحياة، فإذا مكن لهم في الأرض كانوا على قدر المهمة المناطة بهم. وحتى لا تكون المحنة أقسى مما يتحمله بشر، فعندئذ قد يتسرب اليأس والقنوط إلى النفوس ، كان رسـول اللـه -صلـى الله عليـه وسلم- يخفف من آلام أصحابه ، ويدعوهم إلى الصبر، ويذكرهم بما وقع للمؤمنين من قبلهـم ، ويبشرهم بأن سيكون بعد الضيق فرج بإذن الله ، فكانت كلماته برداً وسلاماً على قلوبهـم ، وكـان رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- - وهو الرحمة المهداة - يبحث عن مخرج لهذه المحنة، فـأشـار عـلـى أصـحـابه بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر من هاجر في المرتين ، وعاشوا هناك آمنين مطمئنين يعبدون الله دون خـوف أو أذى، واسـتمـر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يبحث عن مخرج وفسحة أكبر من الحبشة، حتى تأذّن الله بالفرج وذلك بإسلام نفر من أهل المدينة، ثم كانت الهجرة الكبرى ثم كانت الدولة.

ابتلـي المسلمـون في هذه الأيام بلاء كبيراً، ورماهم الغرب وأتباعه عن قوس واحدة، وقامت قيامة الإعلام علـيـهـم. ينبزهـم بألـقـاب هم بريئون منها، ويؤزون عليهم من يكره الإسلام وأهله ، ويحرضون عليهم السفلة ورعاع الناس.

والابتلاء إذا كان قاسياً قد يحطم الفرد، ويجعله في حالة شلل تام، بل قد يحطم المجتمع إذا لم يـكـن متمـاسكاً وعلى درجة عالية من الأخوة

والتناصر، وحتى ذلك أو قبل أن يحدث ذلك فإن البحث عن مخرج لهذه الفتن المتلاحقة هو من مهمة القيادات الواعية، والدعاة الصادقين ، والعلماء العاملين ، لا بد أن يرى الشباب بصيصاً من الأمل ، وبشارة بقرب زوال هذا الليل الذي طال وناء بكلكله على صدور المسلمين ، لا بد من عمل كبير، واجتهاد صحيح في كيفية التغيير، وإن فقدان العلماء - الذين هم على معرفة بالواقع وعلى ارتباط به والذين يجتهدون لكل حادثة، ويكون لهم تأثير كبير وفعال - يضر كثيراً بالعمل الإسلامي ، ويجعل الأصاغر يجتهدون ويخربون ولو كان ذلك بحسن نية. فهل من مبادرات لسد هذه الثغرة، وحتى لا يقع المحذور.

مسالك أهل البدع في النظر والاستدلال(*)

بهاء الدين عقيل

مما لا شك فيه أن الحاجة ماسة في زماننا هذا - وفي كل زمان - لمعرفة صفات أهل السنة والجماعة ومنهجهم في الحياة، فهذه مسألة مهمة وملحة من أجل إنهاء حالة التشتت والحيرة التي يعيشها المسلمون اليوم. وقد ظهرت في الآونة الأخيرة كتابات طيبة بهذا الصدد؛ ويعد من متعلقات ذلك أيضاً البحث في طرق ومسالك أهل البدع في النظر والاستدلال، وتوقيها حتى تسلم لنا الاستقامة على طريق أهل السنة والجماعة؛ فإنما بضدها تتميز الأشياء..

الأصل العام لجميع طرق الاستدلال عندهم :

الأصل في جميع طرق استدلال أهل البدع أنهم لا يأخذون الأدلة مأخذ الافتقار إليها بل يقدمون أهواءهم ، ويعتمدون على آرائهم ، ثم يجعلون الأدلة الشرعية تبعاً لذلك الهوى. ومن يفعل ذلك فهو أحد رجلين :

- إما مغرض ويعلم أنه صاحب هوى متمكن من قلبه ، فيستدل بما يراه موافقاً لهواه ، ويلوي الأدلة ليّاً لتوافقه.

- أو هو غير راسخ في العلم ، لا يعرف كلام العرب ودلالته ، ولا مقاصد الشريعة وكلياتها وأصولها، فيقرأ أو يسمع نصاً من الكتاب أو السنة فيفهمه بنفسه فهماً يوافق هوى لديه وهو لا يدري ويظن أنه بذلك متبع للكتاب والسنة.

أما العلماء الراسخون في العلم، المخلصون لله في علمهم وعملهم فلا يقع منهم ذلك أبداً، بل هم يأخذون الأدلة مأخذ أهلها العارفين بكلام العرب وكليات الشريعة ومقاصدها كما كان السلف يأخذونها.

فالـهــوى هو الدافع والموجه الأول والرئيس لطريقة أهل البدع في النظر والاستدلال ولذلك سموا بـأهــل الأهـواء، ويتفرع عن هذا الأصل العام مسالك وطرق شتى، ولا يلزم أن توجد كلها عند كل مـبـتـدع بل قد يوجد بعضها دون بعض ، ونسوق الآن من هذه الطرق أوجهاً كلية يقاس عليها غيرها.

المسلك الأول :

الاعتماد على الأحـاديـث الـواهـية الضعيفة، أو المكذوب فيها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، والتي لا يقبلها العـلـمـاء المتخصصون في علم الحديث ، كحديث الاكتحال يوم عاشوراء، وأكل الباذنجان بنية، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- تواجد واهتز عند السماع(1) حتى سقط الرداء عن منكبيه، وما أشبه ذلك. وأكثر ما يكون ذلك عند المتصوفة ومن شاكلهم من الفقراء في العلم والنظر.

المسلك الثاني :

رد بعض المبتدعـة للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ، ويدعون أنها مخالفة للمـعـقــول وغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردها؛ كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط ، والميـزان ، ورؤية الله -عز وجل- في الآخرة، وكذلك حديث الذباب إذا سقط في الإناء، وما شابه ذلك مما صحت فيه الأخبار وثبتت ثبوتاً لا يتطرق إليه شك أو نقد.

وتـلـك طريقة أهل التحسين والتقبيح العقلي- الذين يقولون:"الحسن ما حسنه الـعـقــل، والقـبيح ما قبحه العقل ، والشرع تابع لذلك " - كالمعتزلة ومن شاكلهم ، ومن يسمون في عصرنا الحالي بالعقلانيين.

ولهم مسلك معروف في النصوص المخالفة لمذاهبهم، أمـا بالـنسـبـة لـلـحـديـث فكما ذكرنا يردونه بكل جرأة ويتعللون لذلك إما بالقدح في رواته - وإن كانوا من الصحابة أو التابعين وممن اتفق الأئمة على عدالتهم - وإما بقولهم إن الحديث آحاد وهو يفيد الظن ولا يصلح الظـن فـي أمــور العقـائد؛ وتلك مقولة باطلة ومبتدعة وقد ألفت رسائل في الرد على ذلك الزعم (2)، أو يردون الحديث بأي علة واهية أخرى.

وأما بالنسبة للآيات القــرآنـيـة فلما لم يستطيعوا ردها عمدوا إلى تحريف مدلولاتها وسموا ذلك تأويلاً، فالخلاصة أنهم إذا خالـفـوا الحديث ردوه وإذا خالفهم القرآن حرفوه وأولوه على غير تأويله المعتبر.

وتكمن خطورة مذهب الـمعتزلة في أنه وإن زالت فرقته الآن - فلا يكاد يوجد من يصرح في عصرنا بأنه معتزلي المذهـب - إلا أن أسس مذهبهم وأفكارهم قد انتشرت بين آراء كثير من الأدباء والكتاب المعاصرين، وتراهم يصفون المعتزلة بأنهم أصحاب المدرسة العقلية المستنيرة التي أثرت الفكر الإسلامي، والـصــواب وصفـهـم بأصحاب العقول المظلمة، الذين أفسدوا اعتقاد المسلمين ردحاً من الزمن ، وجروا الويلات على الأمة الإسلامية. بل

إن من أفكارهم المظلمة ما تسرب إلى اذهان بعض العلماء وأثر عليهـم؛ وذلك كأخذ بعض العلماء ببدعة رد أحاديث الآحاد في أمور الاعتقاد، وهذا منتشر بينهم في عصرنا الحالي وكأنه أمر مسلم.

المسلك الثالث :

فـهـم الآية أو الحديث بالهوى والتخرص. وعدم الرجوع للمعنى العربي للفهم الذي يفهم به عـــن الله ورسولـه؛ وذلك كمن قال في قوله تعالى: ((ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ والإنسِ))[الأعــراف 179] أي ألقـيـنا فيها؛ وكأنها من قول العرب (ذرته الريح)، وهذا خطأ لأن ذرأ مهموز وذرَّ غير مـهـمــوز(3). وكقول من قال : إن الإمام في قوله تعالى ((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإمَامِهِمْ)) جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم ، وهـــذا غـلـط أوجبه جهله بالتصريف فإن [أم] لا تجمع على [إمام] (4) بل جمـعـهــا [أمهات].

ومـثــل هذه الجهالات كثير، وهي كلها استدلالات لا يعبأ بها، وتسقط مكالمة أهلها، ولا يعد خلاف أمثالهم. وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "إنما هذا القرآن كلام فضعوه مـواضـعـه ولا تتبعوا بـه أهواءكم " أي فضعوه على مواضع الكلام ولا تخرجوه عن ذلك فإنه خروج عن طريقة الـمستقيم إلى اتباع الهوى. وقيل للحسن : أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويقيم بـهـا مـنطـقـــه؟ قال : نعم فليتعلمها فإن الرجل يقرأ بالآية فيعياه توجيهها فيهلك. وعنه أيضاً قال : أهلكتكم العجمة تتأولون القرآن على غير تأويله.

المسلك الرابع :

الانحــراف عـن الأصــول الواضـحـة إلى اتباع المتشابهات كما قال تعالى: ((فَأَمَّا الَذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْــتِـغَـاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ))[آل عـمــران 7]، فمـثـال ذلك احتجاج النصارى على ألوهية عيسى - عليه السلام - وأنه ولد الله بقوله تعالى: ((ورُوحٌ مِّنْهُ))[النساء 171] وقوله تعالى عن نفسه في آيات كثيرة بضمائر الجمع : (إنا)، (نـحـن)؛ وهذا يقتضي التعدد في زعمهم ، وقوله تعالى : ((ومَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَـخْـنَـا فِيهِ مِن رُّوحِنَا))[التحريم 12] ، ولم يردوا ذلك إلى صريح قوله تعالى : ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَــدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ * ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)) [الإخلاص] ، وإلى قوله الـمـحـكــم : ((يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ الحَقَّ إنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إنَّمَا اللَّهُ إلَهٌ واحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ ولَدٌ))[النساء 171]، بل أخذوا من هــذه الآيــة فقط قوله ((ورُوحٌ مِّنْهُ)) وتعلقوا بها مع أن بقية الآية فيها الرد على زعمهم وكفى بذلك دليلاً على اتباع الهوى في الاستدلال.

ومثل احتجاج المعتزلة لـخـلــق الـقــرآن بقوله تعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ))[الزمر 62] ، والمراد خالق كل شيء مخلوق وإلا فـقـد أجـيـب علـيهـم بقوله تعالى: ((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ))[الأنعام 119] فهل يقولون أن الله مخـلـوق؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. والواجب في ذلك كله وما ماثله من المتشابه أن يرد إلـى المحكم ليعرف من معناه ، وهذا ما عليه العلماء والراسخون في العلم الناهجون نهج أهل السنة والجماعة.

المسلك الخامس :

وقريب من المسلك السابق الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها، والعمومات من غير تأمل هـل لها مخصصات أم لا؟ أو العكس، وكذلك الأخذ ببعض النصوص دون بعض في المسألة الواحدة والتعلق بها؛ كما مثل الشاطبي - رحمه الله - لذلك بالآتي :

- يحـتـج الـخـوارج لقولهم بالخروج على الإمام بحديثهم "ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل "(5).

- ويحتج القاعد - أي من لا يرى الخروج على الإمام - بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه "(6).

- والمرجئ يحـتـج بقـولـه -صلى الله عليه وسلم- : "ما من عبد قال لا إله إلا اله له ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة". قلت والقائل هو أبو ذر -رضي الله عنه-: وإن زنى وإن سرق ، قال : "وإن زنى وإن سرق"(7).

- والمخالف له محتج بقـولــه -صلى الله عليه وسلم- : "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"(8). وهذه النصوص وإن كـــان ظـاهـرهـا يوهم التعارض فإنه يمكن الجمع بينها إذا جعل بعضها أصلاً ورد البعض الآخر إليه بالـتـأويـل الـسـائـغ، ولكـن كل صاحب بدعة وضلالة يدعي أن دليله هو الأصل ، ويرد ما عداه إليه. والواجب هو جمع الأدلة كلها في المسألة الواحدة وتحقيق ما كان عليه الصحابة وأئمة خير القرون إزاءهـا، والخروج بحكم واحد فيها. والذي ينبغي التنبيه عليه هنا أنه وإن كان هذا المسلك الـمـنحرف من مسالك أهل البدع في النظر والاستدلال ، إلا أنه يقع فيه كثير من المسلمين الناشدين للحق؛ فترى أحدهم يسمع نصاً أو يقرأه فيدفعه حرصه على الالتزام وخشيته من مخالـفة أمر الله تعالى وأمر رسوله إلى المبادرة بتنفيذ ما فهمه منه ، حتى وإن بدا مخالفاً لفعل مشاهـير الصحابة وأجلائهم؛ وبعيداً عن المعقول ، ويظن أنه بذلك يتبع الحق ويخالف هواه ويقـهــره وأنـه بذلـك ممـتـثـل لقول الله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِـيَــرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ))[الأحزاب 36]. وإنما كان خطؤه أنه عمل بنص واحد دون الرجوع للعلماء لـسـؤالهم عنه وعما إذا كان هناك نصوص أخرى في المسألة، وما هو القول الراجح فيها، وقد يشتد حماسه لفهمه السقيم

فينصب نفسه مفتياً به وداعياً إليه ، ويتبعه على ذلك قوم من أمثاله ، وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول : "إن الله لا يقبض العلم انتزاعــاً ينتزعــه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جـهــالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"(9). ولعمر الله كم جر هذا المسلك على المسلمين من فتن ومشاكل بينهم في عصرنا الحالي.

والواجب على الباحث المسلم إذا بـحــث مـسـألــة أن يجمع كل النصوص الواردة وأقوال العلماء فيها ليخرج بمعنى كلي وفهم هو أقرب إلى الصواب حسب ما أداه إليه اجتهاده ، إن كان من أهل الاجتهاد، فيخرج بذلك من دائرة الإثم ، قال الشاطبي -رحمه الله- : "ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد وهو الجهل بمقاصد الشرع ، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض ؛ فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها"(10).

المسلك السادس :

صرف الدليل عن المناط الذي ورد عليه إلى مناط آخـــر موهـمـــــاً أن الـمناطين واحد. قال الشاطبي:"وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله ، ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام ويذم تحريف الكلم عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له أو جهل يصده عن الحق ، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه فيكون بذلك السبب مبتدعاً"(11).

ومثال ذلك أن الأدلة وردت بالحث على الذكر مطلقاً قال تعالى : ((يَـا أَيُّــهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً))[الأحزاب 41]، وقال : ((وابْتَغُوا مِن فَـضْـــلِ اللَّهِ واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[الجمعة 10] ، فيستدل المبتدع بهذه النصوص على مــا يبتدعه من أذكار مخصوصة بكيفيات مخصوصة، وفي أزمنة مخصوصة، مع أن النص ورد مطلقاً وأفاد مطلق الحث على الذكر. والتقييد من جهة المبتدع يخالف ذلك الإطلاق ، والـتـزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنه أن يفهم التشريع ، ومثل هذه الأدلة والنصوص ينبغي أن تفهم من جهتين : جهة معناها الذي يفيد مطلق الحث على الذكر غير المقيد بهيئة مخـصـوصــة، وجهة عمل السلف الصالح بها. وكل من خالف في ذلك فقد خالف إطلاق الدليل أولاً لأنه قيد فيه بالرأي وخالف ثانياً من كان أعرف منه بالشريعة وهم السلف الصالح -رضي الله عنهم-.

المسلك السابع :

بناء الظواهر الشرعية على تأويلات لا تعقل : وهو فعل الباطنيين كالقرامطة وغيرهم. وفرق الباطنية يجمعهم القول بجعل ظواهر النصوص غير مرادة، والذهاب في تأويلها مذاهب من الـتحـكـم لا تتفـق مع اللغة ولا الشرع بل ولا

العقل ، والقول بإمام معصوم ، وقد يسمونه باسم آخر، ويجـعـلـونه بعد ذلك إلهاً. ومن فرقهم المحدثة البهائية والبابية.
وهؤلاء الباطنية هم قــوم أرادوا إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين ، ولما لم يمكنهم التصريح بذلك لجأوا إلى صرف الهمم عن الظواهر بادعاء أن لها بواطن مقصودة، وأن الـظـواهــر غير مرادة فقالوا: كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر، والنشر، والأمور الإلهية الأخرى ليس إلا أمثلة ورموز إلى بواطن.
ولهم في ذلك تُرَّهات وعجائب مـنهـا مـثــلاً: زعـمـهــم أن الجـنـابــة هي مبادرة الداعي للمستجيب بافشاء سره إليه قبل أن ينال رتبه الاستحقاق ، والغسل هو تجديد العهد على من فعل ذلك ، والصيام هو الإمساك عن كشف السر، والتيمم الأخذ مـــن المأذون إلـى أن يسعد بمشاهدة الداعي والإمام.. الخ. ولا تستخفنك تفاهة مذهبهم فتقول هذا مذهب ظاهر الـبـطــلان فـــلا يخشى على أحد من الوقوع فيه ، فإنه يكثر جداً وسط الأعاجم الذين لا يحسنون اللغة ولا يعلمون فقهها ومدلولاتها، وكذلك هي دعوة رائجة لدى السوقة والسفلة من الناس حيث تمنحهم الإباحية باسم الدين إذ هي دعوة قائمة على التحلل والإباحية، ثم إن هؤلاء السفلة قد يكثرون وتقوى شوكتهم فيغلبون الناس على آرائهم ومذهبهم ويعيثوا في الأرض فساداً.

المسلك الثامن :

التغالي في تعظيم الشيوخ والاحتجاج بهم : وغاية حجة من يفعل ذلك أن يقول شيخنا الفلاني يقول كذا وكذا، ويفعل كذا وكذا، وهو ولي من أولياء الله المقربين فلا بد أن الحق معه. وأكثر ما يوجد ذلك عند المتصوفة وأمثالهم ممن لا باع لهم في العلم الشرعي.
والجواب على ذلك من وجهين :
أحدهما: بيان أن الحجة في الشرع ، لا في الأشخاص غير المعصومين مهما بلغت درجتهم.
والثاني : أن يقال له : وما أدراك أن فلاناً المذكور هو من أولياء الله ، فالولاية أمر بين العبد وربه ، بل كل مؤمن يؤدي الفرائض ويجتنب النواهي هو من أولياء الله الصالحين بحسب الظاهر لنا، ولا يسوغ ذلك اتباعه في أمر من الدين دون معرفة دليله.

المسالك التاسع :

الاستدلال بالرؤى والمنامات : وهو مسلك خطير يستخدمه الشيطان للتلبيس على الناس في دينهم وإيهامهم بشرعية بعض الأمور التي لا يوجد دليل شرعي على صحتها. والذي ينبغي معرفته في هذا الباب ، أن "الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض

عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا"(12)، "فلو رأى في النوم قائلاً يقول : إن فلاناً سرق فاقطعه ، أو عالم فاسأله. أو اعمل بما يقولون لك ، أو فلان زنى فحده ، وما اشبه ذلك ؛ لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة وإلا كان عاملاً بغير شريعة، إذ ليس بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحي "(13).
وقد يحتج المسلم بالمنامـــــات بقوله -صلى الله عليه وسلم- : "رؤيا المؤمن -جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"(14) وقـــد أجاب الشاطبي عن ذلك بقوله : "إن كانت الرؤية من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي بل جزء من أجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل إنما يقوم مـقـامــه في بعض الوجوه ، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة [يعني أن البشارة والنذارة من مقاصد النبوة ومن أجزائها كما في قوله تعالى : ((أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللَّهَ إنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وبَشِيرٌ))[هود 2]. وأيـضـاً فــإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح كـمـا فـي الــروايـــة الأخـرى للحديث السابق: "الـرؤيـــا الـحـسـنـة مــن الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"(15) وحصول الشروط مما ينظر فيه فقد تتوفر وقد لا تتوفر. وأيضاً فهي منقسمة إلى الحلم وهو من الشيطان، وإلى حديث النفـس، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتى يحـكـم بـهـــــا وتترك غير الصالحة؟ ويلزم أيضاً على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو منهي عنه بالإجماع "(16).
وخلاصة القول في الرؤيا أنه يستفاد منها في جانب البشارة والنذارة، ولا يؤخذ منها حكم إلا بعد عرضها على الشرع فلينتبه إلى ذلك، فـهـــذا هو الاعتدال في الأخذ بالرؤيا والعمل بها. وفي الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنة فقير الحجة.
وبعد فكما سبق أن بينا لم نقصد في هذا الموضوع إلـى الاستيعاب وإنما هي أوجه كلية لطرق أهل البدع في الاستدلال يقاس عليها غيرها، وندعـــو إخواننا المسلمين إلى الحذر دائماً من أصـحـــــاب البدع ومسالكهم في المحاجة والاستدلال، وقانا الله وإياهم شر البدع وأهلها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

* - عناصر هذا الموضوع مستقاة من الباب الرابع من كتاب الاعتصام للشاطبي بتصرف 1/ 220-285.
1- أي سماع الأغاني والتواشيح التي تزعم المتصوفة أنها من الذكر.
2- انظر في ذلك كتاب أخبار الآحاد في الحديث النبوي لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ، الباب الرابع ، ص 93-101، طبعة دار طيبة الرياض.

3- انظر الاعتصام ، 1 /237.
4- انظر الاتقان ، 2/ 231.
5- الحديث بهذا اللفظ اورده أحمد في مسنده 5/278، وأبو داود في الفتن وفي أوله قصة.
6- الحديث أخرجه أبو داود في سننه باب في الخوارج ، انظر عون المعبود 13/102 طبعة دار الفكر.
7- اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما. انظر مسلم شرح النووي 2/94.
8- اخرجه ابن ماجه في سنن كتاب الفتن 2/365 طبعة الأعظمي.
9- الحديث اخرجه البخاري في صحيحه بلفظه ، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم (فتح الباري 1/94 ص 100).
10- الاعتصام ، 1 / 245.
11- الاعتصام ، 1 / 249.
12- الاعتصام 1/260.
13- الاعتصام ، 1 / 261.
14- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير، انظر فتح الباري 12/373 6987.
15- اخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير، انظر فتح الباري 12/373 6983.
16- الاعتصام 1/ 261.

شذرات وقطوف

من آيات نبوته
-صلى الله عليه وسلم-

"وآيــة أخــــرى لا يعرفها إلا الخاصــة، وهي الأخلاق والأفعال التي لم تجتمع لبشر قط قبله، ولا تجتمع لبشر بعده ، وذلك أنــا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ، ولا كحلمه ، ولا كوفائه ، ولا كزهده ، ولا كجوده، ولا كنجدته ، ولا كصدق محبته ، ولا كتواضعه ، ولا كعلمه، ولا كحفظه، ولا كصمته إذا صمت، ولا كقوله إذا قال ، ولا كعجيب منشئه ، ولا كعفوه، ولا كدوام طريقته ، ولم نجد شجاعاً قط إلا وقد جال جولة، وفرّ فرّة، وانحاز مرة من معدودي شجعان الإسلام ، ومشهوري فرسان الجاهلية كفلان وفلان. وبعد فقد نصر النبي وهاجــر معه قوم ولم نر كنجدتهم نجدة، ولا كصبرهم صبراً. وقد كانت لهم الجولة والفرّة كما قد بلغك -عن يوم أحد ويوم حنين وغير ذلك من الوقائع والأيام ، فلا يستطيع منافق ولا زنديـق ولا دهــري أن يحـــدث أن محمداً جال

جولة قط ، ولا فرّ فرّة قط ، ولا خام (1) عن غزوة، ولا هاب حرب من كاثره ".

"الجاحظ "

أقوال

أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة الـسـيـاســة، فطرحوا عليهم هذا الموضوع : سَرَقْتَ حقوق أمة ضعيفة، فاكتب كيف تشكرها على هديتها..

"مصطفى صادق الرافعي "

"إن من ينبش في مخطوطات غيره مثل من ينبش في جيوب غيره ".

"كاتب من داغستان"

"العالم الثالث هو أكبر متحف عالمي للحفريات السياسية ومخلفات الطغيان ".

"د. جمال حمدان "

الرضا

محمد مصطفى حمام

ضل من يحسب الرضا عن هوانٍ أو يــراه عـلـى الـنـفـاق دليلاً
فالرضا قدرة على النفس ، والساخطُ يحيا للـنفس عبداً ذليلاً
والرضا نـعـمـة مـن الله لـم يـسـعـد بـهـا الـعـبـاد إلا قـلـيلاً
والرضا آيــةُ الــبـراءة والإيـــ ــمــان بـالله نـاصــراً ووكـيـلاً

الحضارة الغربية حضارة متدينة

محمد بن حامد الأحمري

الذين نقلوا لنا الحضارة الغربية نقـلـوهـا إلينا بلا دين ، وصوروها بأنها كانت خالصة من سلطان الدين ، وذلك محض خداع وكذب على القارئ في العالم الذي تعامل مع الغرب بلا وعي ، إذ نجد المثقف أو الدارس لـلـعـلـوم الطبيعية يـرى أن الحضارة الغربية قامت على البعث الأوربي "النهضة" وعصرها، وينسى حركة الإصـلاح الديني ، ينسى البروتستانتية وينسى مارتن لوثر وما قام به كالفن ، بل ويدرس تاريخ هـــذه الحضارة بعيداً عن حقيقته بل تاريخ هذه الحضارة الغربية عندنا هو تاريخ العلمانية لا تـاريـخ الـحـركـة الحضارية، وبحكم أن ثقافتنا كما صاغوها لتكون على نمط الغربية فقد نقلوا لنا الصورة مـشـوهة، كان الواقع الذي مثلوه مشوهاً وغير قادر على الحياة عندنا، فالثقافة الغربية في أذهانـنـا وفـي الـجـرائـد والمجلات والكتب التي نقرؤها ليست هي التي يعيشها الناس هناك في حياتهم اليومية بل هذه جانب فقط .

يـقــول الـكـاتــب الصيني والزعيم المعروف فانج ليزهي في كتاب "هدم سور الصين العظيم "(1): "المفكرون الصينيون يعرفون بعض الشيء عن النهضة الأوروبية ولكنهم يعرفون قليلاً عن الإصلاح أو لأنـهـم يركـــزون على الأول ويقللون الآخر وهذا التعامل جاء من قلة فهم التاريخ الغربي ".
قـطـعــاً لم يـكـن الإصـــلاح "الـديني" أقل تأثيراً من النهضة، وفي الحقيقة لم يكن الاثنان منقطعين في اتصالهما. وفي تعليقات هينريتش هينتز على تاريخ الفكر الغربي - قال -: "أول شـخــص يناقش هو مارتن لوثر لدوره الكبير في الفكر الغربي. وبلا شك هذا ما جعل هينتز يركز عـلـى ألمانيا، ولا حاجة للنقاش أن الإصلاح الديني كان مؤسساً لأفكار جديدة في الغرب "(2).
والــذي حدث في الصين هو نفسه الذي حدث في البلاد الإسلامية حيث لا تعرض الثقافة الغربيـة كما هي فعلاً، بل يعرض منها الجانب المادي فقط والإلحادي ، ولا يذكر بالمقابل الفكر الديني أو الحياة الدينية لهم ، وذلك لأسباب منها:
حساسية اتصال المثقف المسلم بالثقافة النصرانية، ذلك لأن هذا المترجم أو الدارس مسلم أو نصراني مـن المشرق ، ولكلا الرجلين خلاف مع الدين الغربي ، ولا يمكن أن يكون متديناً بدينهم، لذا فهو يستبعد هذا الجانب، ثم إنه لا يتثقف هذه الثقافة الدينية الغربية، فهو إن كان مسلماً متفلتاً من إسلامه فهو أكثر تفلتاً من النصرانية، وإذا كان نصرانياً شرقياً فإن نصرانيته الشرقية مختلفة مع الكنائس الغربية لبـعـد الـفــرق الديني فيما بينها، فإن كان قبطياً أو مارونياً أو أرثوذكسياً عربياً فكل هذه الديانات الـنـصـرانـيـة تختلف مع الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية الأوربية، أو لا يحب أن يظهر أمام الـمـسـلمين بأنه متعصب للنصرانية الغربية وفكرها.
والمسلم يتحاشى الخوض في هذه الاتجاهات إن لم يكن متديناً، وإن كان متديناً فهو يواجه هــذه الـديـانـات بالـكراهة أو الرد، ويتجاهل دور هذه الأديان في السياق التاريخي للعالم الغربي. فتكون الصورة التي ترتسم في أذهاننا أن الغرب لا يدين بدين وهذه أغلوطة كبيرة.
وسبب آخر أن الدول الـغـربـيـة قـامـت عـلـى علمانية الدولة، بحيث تخلصت من صراع الكاثوليك والبروتستانت على الحكومات ، وحروبهم الدينية، وتحكم الكنيسة، وهروبها من تحكم الكنيسة لا يعني إلحاد الحاكمين ، أعني هنا أنها ضد الدين أو أنها ضد الدين أبداً، بل الحكومات الغربية مضطرة لمصلحتها السياسية والقومية أن تقف هذا الموقف من الأديان المكونة لها وليس من أديان الأقرب.
جانب مهم آخر أن المثقفين الغربيين الذين تصدروا الثقافة الغربية في مرحلة صلتنا بها هم نـقــاد الحـيـاة الغربية والتي ينتقدون فيها الدين المتحكم ، فانعكس ذلك علينا فكنا نأخذ نقدهم للكـنـيـســة ولـلاسـتـعـمار على أن هذه

هي الحياة الفكرية عندهم وأنها هجوم على أديانهم وخلقهم ، وننسى الحقيقة التي يعيشها الناس باستمرار هناك ، إذ لا تقوم حياة قوية إلا بجانبها الديني وجانبها الاقتصادي.
والعامل المهم الآخر أن وكلاء الـثـقـافة الغربية في بلاد العالم الإسلامي كانوا من اليساريين وأشباههم وهم يميلون إلى أمثالهم هـنـاك ، فـلـهـذا لا ينقـلــون إلا ما تميل إليه مدارسهم وانتماءتهم الغربية أو ولاءاتهم ، ويضربون صفحاً عن النقد الـمـوجــه لليسار أو للتيارات الإلحادية هناك ، حتى لتجد أن الثقافة الغربية المعروفة لدى جـمـاهـيـرنـــا هي الثقافة الإلحادية الغربية فقط ، ولا ينقلون لنا ماهية الحياة الثقافية كما هــي ، وبالإمكان إجراء مقارنة سريعة بين كاتب فرنسي ملحد اسمه سارتر؛ وبين زعيم ديـنـي ألماني اسمه مارتن لوثر. الأول نشر وجودية كيركجار مع تعديلات إلحادية مهمة وطورها، والآخر كان زعيم حركة الإصلاح الديني. ولوثر الذي كان وراء حركة البروتستانتية وإنشائها - مع غيره - والتي كونت أكبر ديانة في العالم الغربي وبها تدين أمريكا والشمال الأوربي وكانت سبباً مهماً في التكوين الديني والاقتصادي في شمال أوربا وأمريكا - على الأقل كما يرى ماكس فيبر - مقارنة ما نشر عنه في اللغة العربية مع ما نشر عن سارتر لا تقارن بأي حال. فهذا سارتر صار له عندنا أتباع كثيرون وكتاب يستميتون في الدفاع عنه - كأنـيــس مـنـصور - وكـــان لـلـوجـوديـة شـيـخ عـربـي - عـبـد الرحمن بدوي - كما لقب بعد نشر كتابه إثر الاحتفالات بقدوم سارتر لمصر. قد يكون ذلـك لسـهـولــة الإلحاد على البعض عندنا ولأن فكرهم وجد دعماً إعلامياً قوياً وحكومياً أيضاً. ومارتن لـوثـر لم يجـد في البلاد العربية ما وجده الملحدون. ذلك لأن الحديث عن الإصلاح الديني والبروتستانـتـيـة الأوربية قد يجر إلى الاهتمام الديني في الإسلام وذلك ما لا يتفق مع التوجهات الجارية منذ ذاك إلى اليوم ، إذ المطلوب من الفكر في العالم الإسلامي والعربي أن يحارب الدين ويتنكر لدوره الأول في نجاح الحياة وعزة الشعوب واستقلاليتها، وبما أن الدين هو الروح المحركة والدافعة للعزة والكرامة والإخلاص فلا بد من إقناع شعوبنا المسلمة بعدم أهمية ذلك، لأنه لا يراد بها إلا الدمار والانهيار عندما تبعد عن الدين، حـتـى وصـــل الأمر بنا أن جامعاتنا التي تدرس التاريخ الأوربي لا تقف عند الأثر الروحي والأخلاقي الذي تبثه الكنيسة البروتستانتية، فالكتب المترجمة أو التي تدرس عندنا عن فكرهم وحـيـاتـهـم هي كـتـب منتقـاة إلحادية المشرب. وأيضاً فعند الذين تعاملوا مع الثقافة الغربية في زماننا عقدة من الدين وحاجـز لا يكاد ينفتح، إما لمشكلة في شبابهم مع الدين الرسمي وممثليه؛ وإما لجهلهم به جهلاً مانعاً من إدراكه، وإما للانحرافات التي تغطي على روح الإسلام فلا تنفذ لقلوبهم ، لذا تجدهم في عماية وكـراهـيـة أحـيـانـاً من ذكره وإن تعاملوا معه كانوا مكرهين يائسين مدفوعين إلى مشكلة يحبون الخلاص منها بأسرع وسيلة. غير

أن الواقع الآن يدل على أنهم غادروا هذا الوهم وبدأت ملامح إقبال كبير على الاهتمام بهذا الجانب الإيماني لم تكن بارزة من قبل (3).
والذي يهم معرفته في طبيعة العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي أن جوانب أساسية مــن الفكر الغربي والسلوك الغربي نفسه هي جوانب يحرِّم الغرب تصديرها، ويقف موقفاً شرســـاً ممن يفكر في تصدير هذه الجوانب وتعليمها للناس ، ومنها الاهتمام بالدين ونشره ووعيه ، فيسمح بالتجمعات الدينية هناك ولا يسمح بها الغرب في العالم الإسلامي ، لأنها قد تـقـلـب الـمـوازين الفكرية المطلوبة، ومنها اللغة إذ يحرم الغرب بشراسة سيادة اللغة العربية والتعليم العلمي بها، ويحارب الوعي السياسي والحريات السياسية والديمقراطية في المستعمرات، كـمـــا يحـارب الصناعات الأساسية والعسكرية، ويحارب الأمن الغذائي والنمو الاقتصادي ، ويـحــارب كل وسيلة يمكن أن تسمح باستقرار وعي صحيح بحقائق العالم المعاصر وأفكاره.
ولم يعد غريباً اليوم أن نجد أنفسنا عاجزين عن فهم الآخرين ، لأننا أعطينا جانب واحد فقط وبقيت الـصـورة مشوهة وغير مدركة. ولذا فحلولنا جزئية مبتسرة لا تنطلق من إدراك واع لـلــذات ولا إدراك واع للآخــرين. حتى عند من يزعمون ذلك أو يقومون بدور الوكيل لنشر الأفكار الغربية.
الـحـضـارة الـغـربـيـة اليوم حضارة فيها جانب الدين مؤسس وقائم بدور رئيس في صياغة الحياة والفكر والتماسـك في المواقف السياسية تجاهنا وبشكل لا يقاس به ما كتب عنهم في لغاتنا ولا يقاس به الموقف الرسمي في عالمنا الإسلامي.
وعندما نقول حضارة متدينة فهذا مقابل كلمة ملحدة في الكتابات العربية المعاصرة، والتي تعني بالإلحاد ما رأت فـي روسيا الغابرة. ومصطلح : "العلمانية" المتداول في العالم العربي اليوم ، ليس هو المطابق الصحيح تماماً مع مفاهيم العلمانية الغربية، إذ ما يسمى بالعلماني الغربي اليوم، عنده قاعدة ولاء وانتماء لجنس ودين في بلده، ويتعامل مع العالم من خلاله لا تجدها في علماني العرب ، إذ يفتقدون هذه القواعد، ويخـفــون على غير منابرهم كلاماً ليس لهم في جماهير لا تفهمهم ، لذا لا يثمر شيئاً.

الهوامش :

1- Bringing Down The Great Wall , Knopf, New York , 1990

2- المصدر السابق ص 53.

3- لـوحــظ أن المؤتمر الفلسفي الذي عقدته الجمعية الفلسفية المصرية، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، 27-29 يونيو 1992، كان عبارة عن تظاهرة إسلامية ولم يحدث ذلك من قبل في جمعية علمانية، منبر الحوار عدد 26 خريف 1992 ، السنة السابعة، ص 146.

تعدد الزوجات في إطار الضوابط الشرعية

منى عبد الله داود

لقد أصبحت قضية تعدد الزوجات من القضايا الحساسة الحرجة في واقعنا المعاصر، خاصة في محيط العنصر النسائي ، ولـلأسف أن شـمــل ذلك الفئة الملتزمة بالدين ، والتي يتوقع منها خلاف ذلك ، إذ الإيمان كفيل بتهذيب النفوس ، وتربيتها على التسليم بكل ما جاء به الشرع ، "فالاستسلام ابتداء هو مقتضى الإيــمــان وبـه تتلقـى النفوس تنظيمات الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول ، وسرعة التنفيذ"(1)، فأغلب الـنـســاء الـمـتـزوجـات أو غير المتزوجات ، ينزعجن من مجرد طرق هذه القضية على مسامعهن ، وينحون بـهــا منـحـى الكرامة الشخصية، والمساواة، وظلم المرأة وبخس حقوقها وغيرها من الدعاوى التي شاعت وعــدت من المسلمات ، وخاصة إذا كان المتحدث في القضية رجل.. فإنه لا يسلم من سيل الاتـهـامـات فـهـو المحـور الرئيس في القضية، ومن ثم ، يرى من الأسلم له ألا يدلي بدلوه فيها، وفي الحقيقة هذه القـضـيـة حسـاســة بالنسبة للطرفين الرجل والمرأة، ولكن ربما لو تحدثت فيها المرأة، فإن تأثيرها سيكون أوقــع وأبلغ ؛ لأن الطرف المتذمر فيها هو المرأة، ومن ثم ، سيكون الحوار عن طريقها بعيداً عن الاتهامات التي دائماً ما تكون مصوبة نحو الرجل ، خاصة إذا أخذ سياق عرض الموضوع إبـراز مـــدى حاجة واقعنا المعاصر إلى بيان الضوابط العقدية والشرعية في قضية تعدد الزوجات بالنسبة للرجل والمرأة على السواء.

فالناظر إلى واقعنا المعاصر يجد انحرافات كثيرة في مفهومـاتـــه وتصوراته لقضايا كثيرة في الدين ، ومن هذه القضايا قضية تعدد الزوجات؛ إذ شوهت صورته وعُرِض عرضاً منبتاً عن أبعاده الإيمانية من قبل أعداء الإسلام ، ومن قبل سوء تصرفات من ينتمون إلى الإسلام من الرجال الذين أساؤوا إلى المرأة باسم إباحة التعدد هكذا على إطــلاقــه دون ضوابط وأسس إيمانية واعية للمقصود الحقيقي من وراء التعدد، كما أن جل النساء - حـتـى مـن يعرفن بالالتزام الديني - أصبحن يرفضن هذه القضية ويبدين تأففهن منها.

إن قضية التعدد هي ثغرة استغلت من قبل أعداء الإسلام ، فهي على صعيد العنصر النسائي تقابل في نفس المرأة شهوة الاستئثار بالرجل دون غيرها من النساء، ومن ثم ، فهي تنزع لذلك إلى النفور من التعدد، وعلى صعيد الرجال تقابل إشباع ميله إلى النساء بصورة كبيرة، وبالتالي قد ينسى في غمرة ميله هذا أو في غمرة الجهل بالدين ما لهذه القضية من ضوابط ومفهومات إيمانية يجب أن تراعى.. ومن ذلك نرى أنها ثغرة أُحْكِمَ انتقاؤها لزعزعة عقيدة الأمة

والإخلال بكيانها الاجتماعي ، إذ سنلمس ذلك من خلال عرض عواقب ذلك على الأمة وكيف تمّ..
فمن وسائلهم في ذلك ، الغزو الفكري عن طريق الطعن في الإسلام من خلال هذه القضية، والخوض فيها.. الخ ، والغزو الإعلامي الرهيب عن طريق وسائل الإعلام جميعها، وخاصة المذياع والرائي (التلفزيون والسينما)؛ إذ عرضت التمثيليات والأفلام التي تمثل أن التعدد ظلم للمرأة وإهانة لها وخيانة من قبل الرجل ، وصور الرجل الذي يعدد بالقسوة والظلم وتعمد الإهانة للزوجة الأولى وبخسها حقوقها الزوجية.. الخ ، أو تصوير الإباحة لحالات خاصة دون سواها كالعقم والمرض وما شابه ذلك.. من خلال هذا العرض الوجيز المذكور آنفاً، أصبح هناك قلب في المفاهيم تجاه قضية التعدد في حياة المسلمين ، ومما ساهم في زيادة ذلك ما وصل إليه حال أغلب المسلمين من جهل بالدين عظيم ، إذ وجد من يعدد دون وعي بالمستلزمات الشرعية لذلك ، من آداء للحقوق وصيانة لكرامة المرأة والحرص على عفافها واتقاء الله في حسن معاملتها، فشوه التعدد من قبل هؤلاء، وبذلك اجتمعت الوسائل المرئية والسمعية والواقعية على تشويه هذه القضية، لدرجة أن أصبح من المسلمات في حياة كثير من المسلمين أن الأصل هو الاكتفاء بواحدة وأن الشاذ هو التعدد مع أنه قد يكون العكس هو أصح(2).
كما أن هناك ملاحظة قد تختص بواقعنا المعاصر وما آل إليه من جراء ذلك ، بيانها في النقطة التالية :

- 1 -

بروز ظواهر اجتماعية مثل :

- انتشار ظاهرة العنوسة بين الفتيات وبقاء أغلب الأرامل والمطلقات بدون زواج.
ولا يخفى على البصير عواقب هذا الأمر، الذي يرتبط ارتباطاً مباشراً بقضايا فطرية إنسانية، قد لا تقوى على تهذيبها، إلا من رحم الله بالإيمان ، فإشباع الحاجات الفطرية وتحقيق الاستقرار النفسي والسكن ، لا بد له من شريكين ، الرجل والمرأة، قال تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) [الروم 21]. فهذا الذي فطر الله الناس عليه ، والمجتمع الإسلامي ينبغي له أن يكون متكافلاً متعاوناً على البر، ومن البر تحقيق الصون والعفاف لأفراده ، وإعانتهم على تيسير الزواج ، وعدم ترك المطلقة، والأرملة دون زوج ، فهذا من شأنه أن يثير الفتنة في المجتمع ويشجع على ارتكاب المحرمات ، خاصة وأننا في مجتمعات تكالبت الوسائل فيها على بث الإباحية والمجون والفساد، وبالتالي كان لزاماً سد أبواب الفتنة والانحراف ، بالوسائل الشرعية الفاعلة.. فأي عفاف وصون أعظم للمرأة من الزواج والستر؟!..

قضية دعوية تدعيمية لتحقيق صلاح المجتمع المسلم :

وبيان ذلك في التالي : إذ من الملاحظ قلة عدد من يرتجى فيه الصلاح في مجتمعاتنا المعاصرة، وهذا الأمر يمثل خطراً كبيراً إذا لم يتلاف بجميع الوسائل ، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن أول ما يتبادر إلى ذهن من يهتم بشؤون المسلمين في زيادة عدد الصالحين هو الدعوة إلى الله بالوسائل المعتادة من إعلامية وتعليمية وتربوية وغيرها، وهنا ترد وجهة نظر في عرض وسيلة أخرى مجدية -إن شاء الله- وهي : وعي الفئة الصالحة من الرجال بفائدة تعدد الزوجات وتطبيق ذلك ، إذ إن من استبان صلاحه يتوقع منه حسن تطبيق التعدد، بل وتحقيق سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته من بعده في التعدد، فيصحح مفهوماً قد شاع سوء فهمه بين الناس ، بالإضافة إلى ترقب أن يرزقه الله بالذرية الصالحة والتي سيتقي الله في تنشئتها النشأة الصالحة الفاعلة في المجتمع بإذنه تعالى، ولو مثلنا لذلك بمثل عددي ربما وضح القصد، وهو أنه لو اكتفى الرجل الصالح بزوجة واحدة فإن نتاج ذلك -إن شاء الله- من الذرية على أقل تقدير أربعة من البنين والبنات وسيتوقع أن يكون أغلبهم من الفئة الصالحة الفاعلة لصلاح أبيهم وبركة تقواه - إذ شرط الصلاح في هذه القضية مهم جداً -، ومن ثم سيكون مكسب المجتمع المسلم (زوجة صالحة + فئة من الأولاد الصالحين)، ولكن لو عدد هذا الرجل الصالح وأعانه المجتمع المسلم على ذلك ، فإن مكسب المجتمع المسلم سيكون أكثر بكثير من البنين والبنات من ذوي الصلاح والفاعلية -إن شاء الله- ، ومن ثم ستكون هناك زيادة في عدد الصالحين. ويلاحظ أن الزيادة المرتقبة ليست قليلة بل هي ربما تعادل ثلاثة أضعاف أو أكثر حسب مشيئة الله ، وقد لا يخفى على المسلم البصير أن هذا النفع الدعوي من التعدد، ربما كان هو الذي حدا بأعداء الإسلام إلى محاربته ، وخاصة بين الفئة التي يرجى صلاحها وفاعليتها في المجتمع المسلم ، كما أنه من واقع تطبيق التعدد في حياة مجتمع القدوة في عهد السيرة والراشدين ، قد يندر أن يكتفي صحابي بزوجة واحدة، أفلا يجدر بنا ونحن في هذا الواقع المرير أن نتدبر أسباب ما آل بمجتمعاتنا الإسلامية وما وصلت إليه من حال بئيس في جميع المجالات ، وخاصة المجال الاجتماعي الذي أهمل شأنه طويلاً حتى أصبحت قضاياه ظواهر اجتماعية بارزة للعيان قد يصعب تداركها الآن بعد أن استفحل خطبها، فالله المستعان وعليه التكلان ، وعسى أن تثوب هذه الأمة إلى رشدها، وتتلمس حقيقة الثغور التي تؤتى من قبلها فتسارع إلى حراستها بالنفس والنفيس.

عزوف أغلب الفتيات عن الارتباط بالرجل المتزوج ، مما ثنى كثيراً من الرجال عن التفكير في التعدد، بل والحياء من قضية عرضه ، سواء في محيط أسرته أو في محيط المجتمع؛ إذ معظم الناس في مجتمعاتنا ينظر إلى القضية على أنها قضية أهواء شخصية محضة.
وتفنيد ذلك يتطلب معطيات إيمانية قوية، وممارسات شرعية ظاهرة، والمقصود
بذلك :
1- تصحيح المفاهيم ، ببيان حقيقة التعدد والضوابط العقدية والشرعية فيه من تقوى الله عز وجل ، وإخلاص التوجه إليه في الإقدام على هذا الأمر، والحرص على الذرية الصالحة، وتكثير الفئة الصالحة في المجتمع ، وتحقيق العفاف لنسائه والرقي بهن إلى مصاف نساء السلف الصالح فكراً وممارسة، والأخذ بيد المرأة المسلمة إلى تقديم دينها على ما سواه في حياتها، وتحكيمها لشرع الله ورضاها به وتسليمها لما جاء به ، فسعادتها في تحقيق دين الله في نفسها ومحيط أسرتها، وإن وهبها الله فقهاً في الدين فلتكن خير معين لأختها في غرس بذور الإيمان بأحكام الشرع والرضا بالتسليم بها، فكراً وممارسة، وتنقية النفوس مما من شأنه أن يثير البغضاء والشحناء، ولتعلم أن خير معين لها في ضبط سلوكياتها وانفعالاتها وتوجيه أفكارها هو التمسك بدينها والفقه فيه والعمل به ، إذ به تتحقق المقاصد الإيمانية، وتتهذب النفوس والطباع ، ولا غرو أن حثّ النبي - صلى الله عليه وسلم - على الزواج من ذات الدين وتفضيلها من بين النساء، بقوله : "تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك "(3)، لأن من جعلت إيمانها نصب عينيها، وسعت جاهدة في خدمة دينها، وتيقنت أن الدنيا دار ابتلاء وفناء، وأن الآخرة هي دار القرار والبقاء، فإنها لن توصد أبواب الخير في سبيل أعراض دنيوية ومصالح ذاتية، وستحاول أن تجعل نظرتها لما شرع الله من أحكام ذات أبعاد إيمانية، تغرس في نفسها الرضا والتسليم بحكم الله ورسوله ، قال تعالى: ((فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً))[النساء 65]، وحينئذ يمكنها أن تنظر إلى قضية التـعـدد على أنها باب من أبواب الخير والدعوة إلى الله ، فزوجها يمثل الرابط المشترك بينها وبـين أختها في الله الثانية أو الثالثة أو الرابعة، وأبناؤها وأبناء أخواتها في الله هم أخوة لأب واحـــــد، وإن أبناءه هم أبناؤها، ومن ثم فالعلاقة وثيقة قريبة، فلتتعاون هي وأخواتها في الوعي بحقيقة هذا الدين ، والوعي بالتربية الإسلامية الحقّة التي يُرتجى منها جيلٌ قوي يعيد لهذه الأمة مجدها وعزتها، ولتعلم أن هذا الأمر لا يمكن أن تقوم به جهود أفراد، وأن القـضـيـة فـي حـاجة ماسة إلى جهود جماعية واعية بصيرة، وأنّى لهذه الأمة بهذه الجهود الجماعية الفاعـلة دون مشاركتك أنت، أيتها

المرأة المسلمة؟.. فالرجل الصالح يحتاج لمن يأخذ بيده ويدفعه للأمام دائماً، فما بالك إن تعاونت أنت وأخواتك على ذلك؟.. وتعاضدتن على حسن تربية أولاده ومعاونته في ذلك ، فيد الله مع الجماعة أينما كانت ، والقضية قضية إيمانية في الدرجة الأولى تحتاج منك أيتها المرأة المسلمة تجرداً ذاتياً لله تعالى، وتوجهاً خالصاً في خدمة هذا الدين، وتطلعاً إلى تحقيق واقع جيل القدوة في حياتنا المعاصرة، فأمهات المؤمنين الطاهرات خير قدوة، والصحابيات العفيفات خير أسوة.. وكوني على يقين أن الله تعالى سيعوضك خيراً، ولن يضيع عملك الذي ابتغيت به وجه الله راضية مسلّمة بحكمه ، مقتدية بسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من بعده ، قال تعالى : ((أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ))[آل عمران 195]..

2- الحرص على الممارسات الشرعية في التعدد من قبل الطرفين الرجل والمرأة، ويقصد بذلك ضبط السلوكيات ضمن ضوابط الشريعة، وتوجيهها في إطار العقيدة، أي محاولة أن يكون الهدف من وراء التعدد من قبل الرجل ، وقبول الزوجة به ، ذا أبعاد إيمانية، يعلوها صدق التوجه لله في ذلك وطلب مرضاته بخدمة هذا الدين ، وتحقيق العفاف في صفوف أفراد المجتمع الإسلامي ، وتكثير الذرية الصالحة، وضبط الممارسات تبعاً لهذه الوجهة العقدية الشرعية والتي تكفل انضباط الأخلاقيات ضمنها على قدر رسوخها واليقين بها،والتي تجعل قبول المرأة للتعدد يتوجه للتسليم الخالص به ابتغاء مرضاة الله، وخدمة دينه، وتجعل شراكة الزوجات، شراكة إيمانية قوامها التعاون على البر والتقوى، ومعينها سعة صدر المؤمنة لكل ما من شأنه خدمة هذا الدين، والمساهمة في تربية جيل يرتجى صلاحه وفاعليته : ((والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[التوبة 71].

فعسى الله أن يرحمنا ويعفو عن تقصيرنا في فهم هذا الدين، والوعي بعظم مقاصد شريعته، ونرجو أن يرزقنا الفقه في الدين ، وتمثله فكراً وممارسة في سبيل واقع أفضل.

الهوامش :

1- انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2/1009.
2- انظر : أبو عبد الرحمن ، فضل تعدد الزوجات ، ص 17-19 (إذ أورد فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز في تعدد الزوجات).
3- صحيح البخاري،5/1958 ، كتاب النكاح ، باب 16، 4802.

البيان الأدبي

إسلامية الأدب.. لماذا وكيف؟ (2)

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

الشبهة الثانية:

يدعي بعضهم أن الأدب الإسلامي يحـــول بـيــن الأديب وبـين الإبداع الفني الذي يحقق المتعة للقارئ فهو أدب وعظ وإرشاد فقط ، وأقول: إن الذين يطلقون هذه المقولة لا يبحثون عن الحقيقة بحثاً علمياً جاداً وإنما يتأثرون - غـالـبـاً - بما يشاع ويقال. وأذكر أن دكتوراً وأديباً وشاعراً من بلد عربي قال لـي ذات يــوم: إن نجـيـب الـكـيـلاني يفـتـقـر في قصصه ورواياته إلى الإبداع الفني ، إنه كاتب سردي فقط وبعد نقاش بيني وبينه تبين لـي أنه لم يقرأ لنجيب الكيلاني شيئاً، وإنما قرأ عنه بعض ما كتب نقاد غير منصفين ممن يختلفــون مع الكيلاني في المنهج، واتفقنا أن يقرأ ذلك الدكتور رواية "عمالقة الشمال" لـلـكـيـلانـي، وقـرأهـا ثم قرأ رواية "عذراء جاكرتا" للكاتب نفسه فتغير حكمه على نجيب الكيلاني من النقيض إلى النقيض.. هذه قصة حدثت أحببت أن أقدمها في بداية الرد على هذه الشبهة.

وأعود إلـى صـلـب الموضوع فأقول : الأدب الإسلامي راعى في التعريف الموضوع له جانب الإبداع الفني ، فـقــد مر معنا في تعريفه أنه "التعبير الفني الهادف" فكلمة الفني شرط في الأدب، إذ أن من أهم الفوارق بين النص الأدبي وغيره "الإبداع الفني الذي يحقق المتعة"، وهذا الإبــداع لا يخـضــع لشــروط مقننة محددة، وإنما هنالك إطار عام متعارف عليه في مجال الأدب يتكون من سلامة اللغة، وحسن الأسلوب، وصدق التجربة الشعورية، وجمال التصوير، ثم إن للكاتب أو الشاعر بعد ذلك أن يتفنن في أدبه بما يحقق المتعة الفنية، طولاً وقصراً، رمزاً وإيحاء أو وضوحاً ومباشرة وهذا الجانب الفـنـي ليس وقـفـاً على أحد بل هو مشاع بين الأدباء على اختلاف مشاربهم ولغاتهم، يـبـدع فـيـه مــن يـبـدع ويخفق فيه من يخفق، وإذا تحقق في النص الأدبي ذلك الإطار العام للإبداع الفني فليس من حق أحد من النقاد أن يلغي هذا الجانب في نص ما بسبب اختلاف في المنهج والفكر.

وعندما يعني الأدب الإسلامي بجانب الإبداع الفني فإنه لا ينطلق في ذلـك مــن الـتـقـليد للآخــريــن، وإنـمـــا يعتمد على رؤية إسلامية أصيلة، عُني بها القرآن الكريم في أسلوبه المعجز. كما عني بها أشـــد العناية الرسول -عليه الصلاة والسلام-. أما القرآن الكريم فهو واضح لكل مسلم يقرؤه بـتـدبـر ولا يهجر تلاوته وتدبره منشغلاً عنه انشغالاً كلياً أو جزئياً بنصوص الأدب وأحكام النقاد قـديـمـــاً وحديثاً. ولعل في كتاب "التصوير الفني في القرآن الكريم " لسيد قطب - رحمه الله - ما يغني ويشفي.

أما عناية الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالجانب الفني فتؤكدها الروايات الصحيحة في هذا المجال. ومن ذلك ما ورد في صحيح مسلم من أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- دعا الشعراء إلى المنافحة عن الإسلام ، فأنشده عبد الله بن رواحة فلم يُرْضِ وأنشد كعب بن مالك فلم يُرْض ، ثم بعث إلى حسان ودعا له وقال : إن روح القدس - يعني جبريل عليه السلام - يؤيدك (1)، ونتساءل هنا، ما الذي جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يختار حسان ويفضله على صاحبيه ، مع ما نعلم من حبه -صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك؟
إن الإجابة الشافية على هذا السؤال موجودة في كتب الأدب التي جعلت حسان بن ثابت فحلاً من فحول الشعراء، فهو من الشعراء البارزين في سوق عكاظ ، وقصصه في التنافس مع فحول الشعراء معروفة، وقد ذكر ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء أن حسان يعد أشعر أهل القرى يعني بذلك مكة والمدينة والطائف ، وشعر حسان دليل على قدرته الفنية.
إذن فاختيار الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحسان بن ثابت لم يكن اختياراً عشوائياً وإنما كان مبنياً على رؤية نقدية واضحة، كيف لا ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الخبير بمواطن القوة والضعف في اللغة العربية أليس هو الذي قدّم حسان عندما جاء إليه وفد تميم ، وكان حسان حينها غائباً فانتظره حتى جاء فألقى قصيدته المعروفة :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم   قد بيّنوا سنَّةً للناس تتَّبع

حتى قال وفد تميم : إن هذا الرجل المؤتى له ، لخطيبه أبلغ من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا(2)، ومما يؤكد عناية الإسلام بالجانب الفني في الأدب ما رواه جلال الدين السيوطي في كتابه "الدر المنثور" حيث ذكر أن الصحابة قالوا لعلي -رضي الله عنه- : أهج شعراء المشركين ، فقال لهم : استأذنوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستأذنوه فقال لهم -عليه الصلاة والسلام- : ليس بذاك ، ابعثوا إلى حسان.

لماذا حسان؟؟

لأنه شاعر فحل قادر على تصريف الكلام وصياغته بأسلوب فني رفيع. ليس هناك تفسير غير هذا، ولو لم يكن مقياس الاختيار فنياً، لما اختار الرسول -عليه الصلاة والسلام- حسان وفضله هنا على عليّ ، فإن ابن عمه أحب إليه وأقرب من حسان ، ولكنها الإجادة في الشعر قدمت حسان بن ثابت هنا. إذن فالإبداع الفني شرط رئيس لا يمكن التنازل عنه من قبل الأديب المسلم ، وهذا الإبداع متوفر في الأدب الإسلامي قديمه وحديثه وإنما تجاهله من تجاهل ، وعمي عنه من عمي ، خاصة بعد أن استحكمت "الشللية" في ساحة الأدب فأصبح التصنيف مبنياً على آراء شخصية، نصيب العدل والإنصاف فيها قليل.

أما قضية الوعظ والإرشاد فهي من القضايا التي يظلمها كثير من النقاد المعاصرين ، فهي ليست عيباً فنياً في ذاتها، وإنما تكون عيباً حينما يقف عندها الأديب فلا يتجاوزها، أو عندما يقدمها إلى الناس خالية من التصوير الفني ، والأدب الإسلامي ينظر إلى النصوص الأدبية التي تحمل وعظاً وإرشاداً بمنظار فني دقيق ، فإذا توافر فيها الإبداع الفني صياغة، وخيالاً وصدقاً في التجربة فهي أدب جميل ، وإن كانت وعظاً، وإذا لم يتوافر لها ذلك الإبداع فهي غير مقبولة فنياً. ومما ابتلي به الناس في ظل الآراء النقدية المذبذبة بين المقاييس الغربية والعربية، أنهم إذا سمعوا حكماً نقدياً تعلقوا به دون تدقيق وتمحيص. وإلا فإن من الأدب الوعظي ما هو في قمة الإبداع الفني ، وما شعر أبي العتاهية عنا ببعيد، وفرق كبير بين شاعر يتحدث عن الموت حديثاً جامداً جافاً، وبين آخر يصور لنا وقع الموت على نفسه تصويراً يدفعنا إلى التفاعل معه والتأثر به.

إن الذي دفع بعض نقاد هذا الزمان إلى مواجهة فكرة الأدب الإسلامي بالرفض هو تأثرهم بالآراء النقدية الغربية والانشغال بها كلياً عن حقيقة الأدب الإسلامي ، فيكون استقراؤهم للنصوص ناقصاً. ومن ثم تكون أحكامهم النقدية غير سليمة، لأنه يريدون أن يكون شاعر أو روائي إسلامي نسخة مكررة من شاعر أو روائي غربي ، وهذا أمر مخالف لطبيعة البشر.

إني أرى في حكم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على شعر زهير بن أبي سلمى رؤية نقدية جديرة بالاهتمام ، وهي مرتبطة بالجانب الفني حيث وصفه بقوله : كان لا يعاظل في كلامه ولا يأتي بوحشي اللفظ ولا يمدح أحداً إلا بما فيه. ففي هذه المقولة إشارات نقدية فنية.

فـكـلمة "عاظل " في مدلولها اللغوي تعني الاضطراب وعدم التنسيق فهي في القاموس تعني تراكـــــم الأشياء فوق بعضها دون ترتيب ، فأنت تقول : عظل الجراد، أي ركب بعضه بعضاً، وعاظل فلانٌ في كلامه ، أي : عقّده ووالى بعضه فوق بعض وكرَّره ، وتقول : عاظل الشاعر فـي القـافـيـة : أي علّق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستقلُّ بالإفادة، وتقول عاظل في الكلام: أي أتى بالرجيع من القول. فمعنى المعاظلة هنا إخلال بفنية القول،وذلك ما لا يقع فيه الأديب المبدع أو الشاعر المجيد، فهنا مراعاة واضحة للجانب الفني مـــــن قبل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، ومثل ذلك قوله : ولا يأتي بوحشي اللفظ. إنها عـبــارة دقيقة تدخل في صلب الإبداع الأدبي ، ثم يشير عمر بن الخطاب إلى قضية أدبية مهـمـــة تحدّث وما يزال يتحدّث عنها النقاد كثيراً، ويعدونها شرطاً من شروط الإبداع في النص الأدبي ألا وهي "صدق التجربة الشعورية" فكلمة "لا يمدح أحداً إلا بما فيه" توحي بهذا الجانب الفني المهم (3).

ومن هنـــــا كانت قضية "الإبداع الفني" أصيلة في الأدب الإسلامي إنها تنبع من الرؤية الإسلامية الناضجة للأدب بصفة عامة، وليس قضية عابرة، ولا أمراً وافد علينا، والأدب الإسلامي يــرى أن الإبداع الفني ينبثق من التراث الإسلامي أصلاً، ثم يفيد من التجارب الحديثة، أي أنه يُبنى على قاعدة أصيلة، فهو ليس قفزاً في الهواء.
وأقول : أن شــبـهـة إهمال الأدب الإسلامي للإبداع الفني باطلة، وإنما روج لها أدونيس وأمثاله الذين لا يـنـظــــرون إلى الماضي ولا يرتبطون بتراثهم إلا بما يخدم وجهة نظرهم المحددة القائمة على التـســاؤل الرافض لكل شيء يمت إلى أصالة الأمة الإسلامية القائمة على الدين بصلة، وبهذا يقولون بوجوب تبني المشروع الحداثي الذي يعني أن نتساءل عن الدين والشعر ما هما، أي دين وأي شعر؟؟(4)،(*)
أما الأدب الإسلامي فهو يـعــــرف الدين تماماً، ويعرف الشعر والأدب. ولهذا فهو يشكل نقطة الضوء التي يمكن أن يـسـتـدل بها الجيل في سراديب الأدب المعاصر المظلمة.

الهوامش :

1- انظر صحيح مسلم ، باب فضائل حسان بن ثابت -رضي الله عنه-.
2- انظر الجزء الرابع من سيرة ابن كثير، ص 82 وما بعدها.
3- انظر لمعرفة الخبر بتمامه ، كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، 1/188.
4- راجع صدمة الحداثة لأدونيس ص 258 وما بعدها.
*- ونحن نقول : بل إن أدونيس هذا وأمثاله ينظرون إلى الماضي وينظرون إلى الدين ولا ينكرون تأثيره ولكن أي دين؟ دين القرامطة ودين الحلاج وغيره من المارقين.

- البيان -

إلى متي؟

محمود مفلح

إلى متى والليل لا يرحـــــــل وكـلُّ هــذا العهــرُ لا يـخـجــلُ؟
والساق لا تسأل عن ساقهـــا والباب لا يورى ولا يـقـفـــــــل
إلى متى والشيخ لا يرعـــوي عن غيّه ، والطفلُ لا يـعـقـــــل
إلى متى والريحُ في أرضـنــــا تعوي ، وهذا الجبن يستـبـسـل؟
والسهلُ لا يهفو إلى سهلـــه والنهرُ لا نـهــرٌ ولا جــــــدول
والجهل يقضي بيننا واثـقـــاً والعقل لا يقضي ولا يـفـصــــل
***

إلى متى ينزو علينا الأســى والكأس مـن آهـاتـنـا تـثـمــل؟!
وكل أهل الأرض قد مزقـــوا أكفانهم ، بل سافروا واعتــلــوا
ونحن في بحر خصوماتنــــا والـنـار غـيـرَ الـودِّ لا تـأكــــل
راياتنا ألفٌ بلا عـــــــزة أصواتنا من بعضـهـا تجـفـل!!
والبلبل الغريد لا ينـتـشــي والوردُ فـي أكـمـامـه يـذبــــل
وكـلـنـا يـا أمـتـي ظـامــــئٌ ودون هذا المنحنى الـمـنـهــل..
***
يا أمتي يـا أمـتــي إنـنــــي أبكي وصدري مــن أسً مِرجــل
أعزّنا الله فماذا جـــــــرى حتى يـهـون الـنسرُ والأجدلُ!؟
وعندنا يا أمتي مـشـعـــــلٌ فكيف يخبو عندنا الـمــشـعــل
ونحن قومٌ سادة فـي الــورى ونحن مــن أسـيـادهـم أفـضــل
فكيف ينأى المجد فـي أرضنا والـنـصــر عن أسيافنا يـذهــل
وكيف نستنبت هـــذا الأذى وكـلـنــا فـي حـقــده يـوغــل
وكلما مرّت لـيــال بـنـــــا رأيتُ فيها الخطبَ يـسـتـفـحـل
***
أضيق بالحرف وأشجانــــه فالحرف في أفواهـنــا حـنـظـلُ
الخيل كلّ الخيل صهالــــةٌ ما بال هذي الخيل لا تصهلُ؟!
والناس شادوا ناطحات السما ونحن يغفو عندنا الـمـعــــول
ننام والحالُ على حالـهــــا (الـلـهـو والـهَـيـصـة والبرْطل)
كم مرة همت بهـــا أمـتــي همّتْ ورغم الهمِّ لا تـفـعــــل!
كم مرة كان لـنــا محـفــــلٌ وانفضّ عن أسراره الـمـحـفــل
***
القدس ما زالت على حالهــا والـلــدّ والــرمـــلـــة والكرمـلُ
والشعب ما زال بها صامـــداً رغم العذاب المرّ يـسـتـبـســــل
يا أمتي يا كعبةً للهـــــــدى يا أيها السيف الـذي يُـصـقــل
ما زال نبض الحب في خافقي هــلا يجـيء الــقـــــادم الأول
أرنو إلى تلك الوجوه الـتـــي فـيـهـا يضيء الليلُ بل يرحل
ما زال فينا عصبةٌ حـــــــرة فـي كـلِّ يـوم حبلها يُـفـتـــل
تمضي ويمضي الفجر في إثرها فيها يُرى تـاريـخـنـا الـمـقـبلُ

المسلمون والعالم

مشاهدات في بلاد البخاري (2)

د. يحيى اليحيى

3- صمود المسلمين وتحديهم للإلحاد:

لقد قاوم المسلمون - ولا أعني جـمـيـع الـمـسلمين - جميع موجات الكفر ومخططاته بعود صلب ، وهمة عالية، وقناة لا تلين، وعزة بدين الله، وهذا يدل على أن أولئك القوم كانوا يحملون همّ الإسلام في قلوبهم ، ومــن كان يحمل همّ الإسلام في قلبه فلا بد أن يجد مجالاً ومخرجاً لتبليغ دين الله تعالى.

فكان من مظاهر مقاومة المسلمين للإلحاد ما يلي :

1- عدم الاعتراف بالأسماء الرسمـية إلا عند المعاملة وفي الجوازات ، فلا تكاد تسمع فيما بينهم إلا الأسـمـاء الإسلامـية، بـل إن كثيراً منهم لا يحفظ اسمه الرسمي فقد قابلت عدداً من الطلاب إذا سألته عن اسمــه في الجواز لا يعرفه بل يخرج الجواز ويقرأه عليك! وهذا بحد ذاته تحد صارخ للشيوعية التي تفرض عليهم هذه الأسماء، ثم بعد ذلك لا يحفظونها ولايتخاطبون بها.

2- تربـيـة الأولاد على بـغـض الروس وكراهيتهم ، والنفرة من عاداتهم وتقاليدهم ، وهذا أمر عجيب وطيب ، فالطفل مثلاً إذا سألته عن جاره الروسي تجده يبغضه وينفر منه.

وقد سألت أحد الثقات هناك فـقـلـت لـه : عادة التدخين بين المسلمين قليلة فلم؟ هل هذا راجع إلى قلة الدخان أم غلائه أم ماذا؟ فـقـال : لا، إن الناس عندنا - يعني المسلمين - يقولون : التدخين من عادة الروس ولذا فـكـثـيـر منهم يتركها! ثم سألته : النساء عندكم متبرجات ومع ذلك فلم أر امرأة تقود السيارة فلماذا؟ فقال : إن قيادة السيارات من عادة الروسيات والمسلمون يكرهونها.

3- إرضــاع الأطـفــال بـغـض الشـيـوعـية، وعداوتها وكذبها، فلقد قابلت عددا كبيراً من الطلاب - وبعد أن درسوا في مدارس الشيوعية - فإذا سألته هل أحد من أقاربك شيوعي؟ أشاح بوجهه وكره ذلك السؤال ، واستغربه ، وقال : أعوذ بالله ، سبحان الله.

4- تعليم الأولاد أحكام دينهم والاعتزاز به ، وهذا على حسب علم أهل البيت وما تبقى عندهم من أحكام الإسلام ، وأقلهم يعلم الشهادتين. ولقد قابلت عدداً من الأطفال في كثير من المدن والأحياء ووجدت التباين فيما بينهم في معرفة الإسلام، فـبـعـضـهـم لا يعرف إلا الشهادتين ، وبعضهم لا يعرف إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعضهم يحـفـظ شـيـئـاً من القرآن ، وبعضهم يحفظ أسماء الله الحسنى.

ومررت بمدارس قديمة في مدينة خيوة من خوارزم ، وأطفال ما بين سن الثالثة والخامسة، يـصـعــدون على شرفات هذه المدرسة، فقلت لهم - بعد أن وضعت أصبعي في أذني - الله أكبر، فـمـا شعرت إلا وقد وضعوا أيديهم على آذانهم وبدأوا يصرخون : الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، ففرحت - يعلم الله - فرحاً عظيماً.

5- التعليم السري، وهذا النشاط يدل على أن أولئك القوم كانوا يحملون في قلوبهم الحرقة على دين الله -عز وجل- على الرغم من قطيعة إخوانهم لهم ، ومن تجاهلهم لهم، وعلى الرغم من هذه الغربة الشديدة، ومن هذا الضغط العجيب الذي لم يسمع به، ومـن فـقــدان الـمصاحف وكتب العلم ، ومن الفقر وقلة ذات اليد، على الرغم من ذلك كله فقد قام عدد من المنتسبين إلى العلم بتعليم القرآن ، وأحكام الإسلام ، سراً تحت السراديب في حجرات في بيوتهم، وهذا التعليم يتقرب صاحبه به إلى الله تعالى لا يريد من أحد جزاء ولا شكوراً، فـالـطـالـب يسـكـن فـي البيت ويأكل ويشرب وينام ويلبس كل ذلك على حساب صاحب الحجرة. وقد قام نظام الحجرات على تكليف الأخيار سواء كانوا طلاب علم ، أو محبين للخير بأن يضم إليه طـالـبـيـن أو ثلاثـــة ولا يزيد عن خمسة، فإن كان طالب علم فيقوم بتعليمهم كتاب الله ، وأحكام الصلاة والصيام والأحكام الضرورية، ثم يعلمه سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين ، ثم يعلمه اللغة العربية والصرف والنحو.
ويشترط أن يكون الطالب من الغرباء، فلا يـكـون من نفس المدينة أو القرية، فمثلاً إذا كان المدرس في جمهورية أوزبكستان فالطالب يأتيه مـن طــاجـكـسـتـان أو من غيرها، بل إنني وجدت في بعض الحجرات طلاباً يبعدون عن أهلهم بمسافة تقــدر بآلاف الكيلو مـترات ، وغـالـبـاً ما يكون هؤلاء الشباب ممن تخرجوا من المدارس الثانوية الحكومية الإلزامـيــة، وذلك أن الــدراســـــة الجامعـيـة عندهم ليست إلزامية، بل تأخذ الجامعات رسوماً على الطالب، وهؤلاء الشباب الغرباء يجلسون عند الشيخ في الغرفة مدة ثلاث سنوات ، لا يزور أهله إلا في الصيف، ولا يخـرج مــن هـــــذه الـغـرفــة الصغيرة إلا مرة واحدة في الاسبوع للاستحمام - لأن بيوتهم لا يوجد فيها حمامات - ولـقـــد دخـلـت بعض هذه الحجرات فرأيت من صبرهم وجلدهم على التعلم أمراً عجيباً، يفتقده كثير مــن طلاب العلم في العالم الإسلامي ، تجد شاباً في سن السادسة عشرة أو أكثر جالساً في غرفة مظلمة، والكتاب بين يديه ، وليس للتعليم عندهم وقت محدود فمتى ما زرتهم تجدهم عـاكـفـيـن على التعلم ، وقت الصباح والظهر والعصر والعشاء وآخر الليل!!
أمـا إن كــان صاحـب الـبـيـت لـيـس عنده علم فإن الطلاب يسكنون عنده ويعطون الكتب للدراسة، ثم يأتي الأستاذ إليهم مـــرة واحــــدة في اليوم أو اليومين أو أكثر حسب بعد المنطقة، وهكذا يمر في سائر الحجرات ، فيلتقي معهم في ساعة متأخرة من الليل خوفاً من أن يطلع أحد عليه فيدارسهم القرآن والسنة، وباقي الدروس.
هذا دأبهم في التعليم منذ سنين طويلة، ولا يـعـلـم بهم أحد حتى جارهم في البيت ، وقد قابلت عدداً كبيراً من هؤلاء الطلاب فوجدت بعضهم يحفظ كامل القرآن حفظاً جيداً، ولما سألت بعضهم كيف حفظت القرآن؟ قال : في

الحجرة، في جمهورية كذا. قلت له : أليس في هذه الجمهورية التي تسكن فيها حجرات، قال: بلى، ولكن العلم لا بد له من الغربة، فقلت : على يد من تعلمت؟ قال : على يد الشيخ عبد الله ، قلت : من عبد الله؟ قال : لا أعرفه هذا عندنا عيب ، نعم مدة ثلاث سنوات لا يعرف شيخه وذلك حتى لا تكتشفهم المخابرات. وهذه الطريقة في التعليم شاملة للجنسين الذكور والإناث، فـالـمـرأة فـي بيتهــا وحجرتها بنات تدرسهن ، والأب في حجرته شباب يدرسهم.

وبـعــد الانفتاح خرج من هذه الحجرات آلاف الطلاب وكلهم يحمل مؤهلاً لا بأس به من المعرفة، على الأقل مما يعلم من الدين بالضرورة، وعلى حفظ قسط طيب من كتاب الله -عز وجل-.

6- تربـيــة الأولاد على حـب العربية لغة القرآن ، فالأب والأم يربون الأطفال على حب اللغة العربـيــة وتقديرهـا، وبعضهم لا يعرفها ولم يسبق له أن رأى الحروف العربية. وقد حدثني رجل ثقة فقال: كـنـت ابن عـشــر سـنـيـن فوجدت ورقة مكتوب فيها بالحروف العربية وقد طرحت على الأرض فأخذتها، ثم بكيت، وذهبت بها أجري إلى أمي وأقول : هذه أحرف القرآن لا يحترمونها بل يلقونها على الأرض ، فأخذتها أمي وطيبتها - وكان لنا صندوق فيه مصحف - فوضعتها في المصحف ، فـلـمـا عـرفــت العربية وكبرت فتحت المصحف وأخذت الورقة فإذا هي أنباء موسكو بالعربية!!

إن هــذا الـصـمـود لـيـس شاملاً لجميع المسلمين بل لنسبة كبيرة منهم ، فلقد قابلت عدداً كبيراً من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام إلا مجرد الانتساب إليه بالاسم أو النسب.

-يتبع -

الإبعاد :
((وعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وهُوَخَيْرٌ لَّكُمْ))

د. عبد الله عمر سلطان

اليهود كانت ولا تزال أمة تنتشي بقتل الأطهار وتحتفل بملاحقة الصالحين.. ، أمة قتلت أنبياءها، وطاردت صالحيها، وأدارت ظـهـرهـا مرة بعد مرة لقوافل الرسل الكرام والأنبياء الأطهار، الذين أرسلوا لها ليثنوها عن غيها ويرشدوها إلى أفق الاستقامة ودرب النور.. هذا أمسها.. وهذا يومها شاهد على أنها الأمة المغضوب عليها..

الصالحون الداعون إلى ربهم كان طريقهم حـطـبـاً فـي الطـريق ، وسلىً يلقى على الأعقاب وطرداً من الديار هرباً بالدين والمبدأ.. هذا لوط -عليه

الـسـلام- يخرجه قومه : ((أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)) والمتطهرون من أتـبـاع نبينا -علـيه أفضل الصلاة والسلام- خرجوا مهاجرين إلى الحبشة مرتين وإلى يثرب حيث كانت مـن الحمى تستوطن ويهود تتآمر في هجرة الظفر والنصر.. هذا كان قدرهم وقدر هؤلاء الفتية الـذيـن أتـى بـهـم رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- مـجـنـدلـين يوم الحديبية. روى البخاري "وبينما هم كذلك - في مناقشة بعد الصلح -إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي بموجب الاتفاق ، فـقـــال -صلى الله عـلـيه وسلم- : إنا لم نقض الكتاب بعد، فقال : إذاً لم أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي فـأجزه لي. قال ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : مكرز بل قد أجزناه لك ، قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أرد إلى المشركين وقد جئت مـسـلـمـاً ألا ترون ما لقيت ، وقد عذب عذاباً شديداً في الله ".... ثم انطلق هؤلاء الأبطال هاجرين ديـارهـم فـي مـكـة مترصدين لعير وتجارة قريش في تلك البقعة النائية على ساحل البحر الأحمر، حتى كان هذا الإبعاد إرهاصاً لفتح مبين..

وفـي كـــل رحلة غربة وقافلة إبعاد ترفع التكبير كان النصر يأتي مع الصبر ويعقب العسر اليسر.. وفق سنن العزيز الرحيم.

اليوم يستطيل يهود ومن خلفهم العالم النصراني الغربي المتواطىء ويقومون بنفس الجريمة التي تـحـرمـهـا قوانينهم ومواثيقهم التي لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به.. لكنهم في خضم الخوف من اشتعال الإيمان في الصدور، والجهاد في الأعضاء، ينسون أن المعركة منذ هذه اللحظة دارت واستدارت وتوجهت نحو أفق بديل..

ولم تعد معركة إسـرائـيـل مع منظمات تطرح العلمانية حلاً أو الشيوعية خلاصاً أو التطبيع رهاناً، أو أي مذهب آخـــــر ساقط كمخرج لقضية المسلمين الأولى.. كلا وفي ظروف دولية وإقليمية متجددة يماط اللثام مـــرة أخرى عن الإسلام ، فإذا هو ماثل في صورة طفل ينازل يهود وهو يزلزلهم بآيات البقرة، أو شيخ وهو يحمل قنبلة مولتوف يقذفها في وجههم وهو يتمتم بأرجوزة ابن رواحة:

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

أو امرأة صبرت واحتسبت وقـامـت بتربية تسعة رجال كل واحد منهم تعده ذخراً لقضية الإسلام شوكة في حلق اللئام..

لقد استجمعت الأمة قواها فـي ظـــل التوحيد، واختارت أن تعيد سيرة رجالات الإسلام الأفذاذ الذين ضحوا ويضحون في سبيل القدس ، لا لكونها حجراً أو شجراً أو قطعة أرض ، فهذا ما راهن عليه المارقون وحـاولــــوا أن

يجمعوا الفلسطينيين عليه لعقود، لكن أبناء الإسلام تلوح لهم المساجد والمآذن وشجر الـزيـتـون والإذخــر، فيحيوها في أذهانهم رموزاً لمواطن المعركة ومسارح لساح الجهاد الذي ينتظرهم..

إيجابيات..

ككل فعل بشري ، وقدر ماض ، كان حدث الإبعاد مزيجاً من الإيجابيات والسلبيات التي نرجـــو أن تـتـحـول إلى كم من الإيجابيات هائل ، وقدر ضئيل من السلبيات لا نملك إلا المدافعة والمحاولة لتغيير مسارها.

* إن أبرز إيجابـيـات الإبعاد تحويل مسار الصراع من بعده العلماني كصراع حول الأرض والشجر، إلى منازلــــــة عقـيـدة ودفـع بين الحق المجاهد والباطل المستكبر.. ، لقد ظلت صيحات الدعاة خافتة لزمن طال، أما اليوم فإن الأعداء يدركون أن الصراع قد اختط زاوية أخرى تحمل في طياتها كما قال رابين خطراً داهماً على الكيان الصهيوني.

* ومن إيجابيات الإبعـاد هــذا الـدرس العملي الذي تسابقت وسائل الإعلام الغربية على نقله وتصويره ، صــورة مـعـبــرة للمبعدين وهم صابرون مصابرون بروح عالية وإصرار على المكوث في هذا الجرد الموحش لا يؤنس وحدتهم إلا صلاة أو ذكر أو دعاء..!

* تقديم صورة جديدة لقـيـــادات لا تعرف الترف ولا المتاجرة بقضية شعبها، إن شعوبنا ملت تجرع الهزائم وكرهت مـلامـح هؤلاء الذين تحولوا من صعاليك إلى أباطرة عبر تقديم التنازلات تلو التنازلات.. أما هــــؤلاء فيشرعون في رسم مشروع بطولة ومصابرة تحتاجها الأمة وهي ترى العارض المستقبل أوديتها وفيه ريح تطبيع مدمر!

* في الوقت الذي تتعالى فيه أصـــــوات سمـاسـرة التطبيع مع اليهود والمنادين بالصلح مع إخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت،يعري المجاهدون المبعدون هؤلاء العتاة، ويحذرون الأمة بلسان المقال من خطورة الإقدام على هذا الصلح مع قوم لا يعرفون عهداً، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

* أمــــا أمم "بطرس" المتحدة فأبت إلا أن تثبت لنا وللمشككين في نواياها (وهم كثر) أنها حرب على كل طاهر وصالح من خلايا الأمة الإسلامية المستهدفة، ويأبى الله إلا أن يفضح بطرس وأسـيــــاده فهو كان على بعد ساعة من مقر قيادة حكومة الصهاينة كان في القاهرة ومقاديشو وأديس بابا، ولم يكلف نفسه عناء السفر أو التصريح بشيء من عباراته البطولية التي يطلقها فـي وجــه المحاربين للنفوذ الأمريكي والغربي.. وإذا كان نصفك يهودي يا بطرس ، هل تأتي هذه الحادثة إلا لتكشف لنا عن خبث نصفك الآخر؟

* وإذا تطرقنا إلـى السـاحـة العربية فإننا لا نجد إلا عجزاً وهواناً .. الأسلوب المشروخ هو ذات الأسلوب.. شجب ، استنكار، إدانة ثم إذا جد الجد.. إصرار

على خوض المفاوضات التي وصلت إلى طريق مسدود، فطريق العجز يردي ، والضعفاء كالمعاقين لا يقدرون على الركض في دروب الجهاد..

وسلبيات ..

* تدرك الدولة الصهيونية أهمية القيادة ودور الرموز، لذا فإنها سارعت إلى إبعاد قيادات العمل الإسلامي في أول مناسبة بُعيد قتل المجند اليهودي ، ولأنها لا تحتمل وجود عمل إسلامي منظم وقوي فإنها سارعت إلى هذه الخطوة التي قد تؤثر سلباً على انتشار الحل الإسلامي بين أوساط الشعب الفلسطيني ، وهذا يقتضي إنشاء قيادات بديلة تستعين بالكتمان وطول النفس في مواجهتها مع الأعداء و"بعض" الأصدقاء!

* سارعت المنظمة إلى المزايدة على أحداث الإبعاد وتصويره أنه من بطولاتها "فبطولاتها خارقة للغاية"، وفي الوقت الذي طالب رئيسها الهرم عبر صحافة اليهود بقتل "الجناة" الذين قتلوا الجندي اليهودي ، كان يجري مباحثات مع قادة حركة حماس من أجل التنسيق ونصب فخاخ المشاركة في هيكل منظمته العلمانية.. ، إن الدخول مع هذه المنظمة المفلسة واقعاً ومعتقداً منعطف خطير ينبغي على الحركة الإسلامية أن تعيد النظر فيه ، وهذه السلبية اصبحت حدثاً متوقعاً على الدوام في إطار عجز الخطاب العربي وخوائه. فكما تنبأ العديد من الإسلاميين سارعت طهران إلى ركوب الموجة الفلسطينية الجهادية واستغلالها في نفس الوقت الذي كشفت فيه الأنباء خلال نفس الفترة عن صفقة سلاح إسرائيلية-إيرانية عن طريق كوريا الجنوبية، وهذا دليل آخر على النفاق الرافضي الذي يرضي البسطاء بتقديم الجعجعة الإعلامية، بينما يأكل اليهود الطحين الإيراني كما فعلوا من قبل ، إن السلوك الإيراني بحاجة إلى دراسات خصوصاً على الساحة الفلسطينية التي ينبغي على المخلصين فيها أن يسترجعوا دروس القضية الأفغانية وموقف إيران الإجرامي حيالها، أو ما كشفت عنه الأنباء المتواترة عن تقديم كلاشنكوفات وأسلحة (رمزية) لمسلمي البوسنة في العلن ، بينما يزود نظام الملالي الصرب بالنفط القادر على سحق أبناء السنة من البوسنيين.

كلما مر يوم على المبعدين الصابرين في الجرد الموحش كشف لنا عن درس إيجابي أو نقطة ضعف قاتلة، ولكن مجمل المسار لقضية الإبعاد هو مسار إيجابي عسى أن يتحقق فيه قول الحق -عز وجل- : ((فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً))، ولعلهم أن يكونوا أحفاداً لأبي جندل وصحبه.

طاجكستان مأساة جديدة

د. مالك الأحمد

توطئة:
تقع طاجكستان في أقصى الجنوب الشرقي للاتحاد السوفييتي (سابقاً) وتشترك بحدود مع الكثير من الدول وأهمها أوزبكستان من الشمال وأفغانستان من الجنوب ، إضافة إلى الصين وقرقيزيا وكازخستان.
وهي بلد جبلي في معـظـمـه يسكنه أكثر من خمسة ملايين نسمة أكثرهم من الطاجيك ، ثم الأوزبك ، بالإضافة إلى أقليات عرقية أخرى.
واللغة القومية هي الطاجيكية وهي فارسية الأصل ، لكن اللغة السائدة هي الروسية. والبلد غني بموارده الطبيعية والغلال والثروات المعدنية والتي من أهمها اليورانيوم.
والسكان غالبيتهم من السنة ويوجد أقلية من الإسماعيلية. والبلد صغير المساحة بلا جيش - كحال الجمهوريات الأخرى - لكن الجيش الـروسـي هـو الذي يحمي الحدود ويسيطر على المراكز الرئيسية سواء في العاصمة (دوشنبه) أو المدن الأخـــــرى، وقـيادته بيد يلتسن شخصياً.
والبلد يتميز بخصائص هامة جعلته محط الأنظار ولعل أهمها:
- قـوة الشعور الإسلامي (القومي) لدى الناس ، وتمسك الناس بالتقاليد المحلية وثوراتهم المبكرة ضـــد الروس في أوائل القرن الحالي ، وكذلك الثقافة العالية لدى الكثيرين خصوصاً في الشمال ، والوحدة الإسلامية رغم اختلاف الأعراق.
- وجود حـدود طويلة مع أفغانستان ، مما قد يسبب خطورة عند قيام دولة إسلامية قوية فيها.
- وجود نشاط إسلامي قوي وموحد تحت قيادة حزب النهضة الإسلامي.

الأزمة وتطور الأحداث :

استقلت الجمهورية عن الاتحاد السوفييتي سابقاً في سبتمبر 1991 بعد ما يقارب الـ 130 عاماً من الاسـتـعـمـار الـروسي ، وتنفست الصعداء، وخرج طلاب العلم من الأقبية المظلمة التي اضطروا إليها سنين طويلـة كي يحافظوا على دينهم وعلى لغتهم العربية، ونشطوا في الدعوة والتعليم وأقبلت عليهم الأمة بقلوب عطشى بعد عقود من التجهيل.
لكن الحكم استمر بيد الشيوعيـيـن مستخـدمـيـن نفس سياساتهم السابقة مع تحوير طفيف دون أن يغيروا عباءتهم كما فعل أشياعهم فـي الجمهوريات الأخرى واستمروا في سيطرتهم على كافة المنظمات الشبابية والنقابات والإعلام والمراكز الهامة في الدولة.
ومجاراة لتطور الأحداث ، قاموا بعمل انتخابات (مزورة) في أواخر 1991 وفاز فيها رأس الشيوعية في البلاد نبييف والمدعوم من حزبــه الشيوعي ، ونتيجة لذلك تحركت أحزاب المعارضة الوليدة ممثلة بحزب النهضة الإسلامــي وهو الغالب ، ومعه الحزب الديمقراطي والحركة الشعبية (حزب قومي)

مطالبة الرئيس بالـتـنـحـي عـن الـحـكـم ، وقــادت هذه الأحـــــزاب مـظـاهـــرات حاشـدة فاضطر الرئيس نتيجة الضغوط لتقديم بعض التنازلات، وشكلت حكومة ائتلافيـــة شاركت فيها المعارضة مع الحكومة، مع وعد بإقامة انتخابات برلمانية (البرلمان ما زال تحت سـيطـرة الشيوعيين)، لكن الرئيس نكث بوعوده ، فتحركت الجماهير بالآلاف بتوجيه من المعارضة وحاصرت القصر الرئاسي ما يقارب الشهرين حتى اضطر الرئيس للتنازل والهرب بعد ذلك ..

تـكـونـت حـكـومـة جديدة مؤقتة من المعارضة وبعض الشيوعيين (المعتدلين) وحصل دولت عثمان (من حزب النهـضـة) على منصب نائب الرئيس مع أنه لم تكن للحكومة قوة فعلية ولا سيطرة على الشارع، فالـقـــوة الحقـيقـية كانت للمليشيات الشيوعية المسلحة والمنظمة والتي انسحبت بعد فرار نبييف وتجمعت في منطقة كولاب ، وانضم إليها الكثير من عتاة الإجرام الذين أخرجوا من السجون وبدأوا بالتحــرك للسيطرة على المناطق القريبة منهم ، وهاجموا كرغينة معقل الإسلاميين الذين لم يكونـــوا على استعداد للمواجهة، ورغم ذلك استطاعوا إيقاف الشيوعيين مرات عديدة بأسلحتهم الخفـيفـة.

تطورت الأحداث بعد ذلك سريعاً حيث اجتمع البرلمان (الشيوعي) وخلع الرئيس وأسقط الحكومة، ثم تكونت حكومة جديدة ليس للإسلاميين فيها وجود، وضمت المليشيات الشـيـوعـيـة للـحـكـومـــة وأصبح الإسلاميون (حزب النهضة) عناصر خارج النظام ، حيث بدأت مطاردتهم في كافة البلاد، وحدثت مجازر رهيبة بحقهم، لدرجة أن بعض الصحف الغربية كتبت تقارير حول ذلك، فـطـلبت الحكومة مراقبين من الأمم المتحدة لمتابعة الأوضاع في البلاد حتى تنفي عن نفسها مسؤولية المجازر التي وقعت للمعارضة وبخاصة الإسلاميين.

دور المفتي :

المفتي ورئيس الإدارة الدينية أكبر تورجان زاده لعب دوراً خطيراً في الأحداث،فهو ابتداء من الوضع الشيوعي السابق ، معروف بتقلبه ومواقفه المتعارضة، فتارة مع الشيوعيين وتارة مع المعارضة وأحياناً يلعب دور الوسيط ، وفي مرحلة لاحقة ساعد على تصعيد المواجـهــة بـين الطرفين "وهو يخبر الأجانب أنه يريد دولة هيكلها علماني وروحها إسلامية، وتلتزم بمـعـايير حقوق الإنسان الدولية !! لكنه لا يتحدث بشأن هذه الآراء بصراحة مع الحركة الإسلامية " (1).

مواقف الدول الخارجية :

- أوزبكستان : وتعتبر من أخطر الدول ودورها خبيث للغاية، فهي دولة علمانية صرفة بأسلوب دول العالم الثالث ، وتعلن ذلك بصراحة وتحارب الإسلام في عقر داره ، وكانت مواقفها خلال الأزمة مؤثرة وخطيرة، حيث قامت بدور إعلامي رئيسي في الأزمة تمثل في تشويه صورة الإسلاميين من حزب

النهضة، ووصفتهم بالتطرف والإرهاب والوهابية (التي يبغضها الـنــاس ولا يـعـلـمــون مـــا هي) وتعتم على أخبار المجازر، وتهون من خطورة الأحداث، وأخبارها دائماً في مصلحة الشيوعيين ، وعند تأزم الأحداث أقفلت الحدود مع طـاجـكـستان لحصار الناس ومنعهم من الهرب وبالتالي نقل حقيقة ما يجري للناس هناك، وقطعت الاتصالات والطرق ، والقطارات والطيران ، ودعمت عسكرياً الشيوعيين وطاردت من فر من الإسلاميين لأوزبكستان، بالإضافة لحصارها للإسلاميين الأوزبكيين، وخـتـمــت ذلك بالـقـبـض عـلـى رئـيـس حـــزب النهضة في أوزبكستان عبد الله أوته وما زال مصيره مجهولاً .

- روسيا: كان للروس دور هام وخبيث وإن كان بشكل غير مباشر حيث أن موسكو تعتبر مصدراً رئيسياً للأخبار والمعلومات. قامت روسيا بتشويه صورة الإسلاميين ووصفتهم - كأوزبكستان - بالوهابية والأصولية وأنهم يقاتلون المسلمين ، وهيأت الناس للتدخل في حال تعرض الجالية الروسية في طاجكستان للخطر.

أما في الجانب العسكري فقد قامت قواتها بحجز الإسلاميين عن الشيوعيين في بداية الأحداث عندما كانوا يطاردونهم ، وأوقفت الإسلاميين في كثير من المواقع ، ثم قامت في مرحلة لاحقة بالدعم العسكري المباشر للشيوعيين ، وزودتهم بأحدث الأسلحة، وشارك بعض الجنود في القتال ، وقامت القوات الروسية بإغلاق الحدود مع أفغانستان لمنع تنقل الإسلاميين أيام الأحداث وفرارهم آخر الأمر.

- الدور الغربي : تعتبر أمريكا ذات دور هام في دول آسيا الوسطى حيث لها سفارة تتابع أحداث المنطقة عن كثب ، وقامت أثناء الأحداث بمد أنصار نبييف الشيوعيين بالأسلحة حيث هبطت طائرات نقل أمريكية في كولاب مباشرة تحت غطاء المساعدات الإنسانية.

- أمـــا الـــدول العربية والإسلامية فكان دورها سلبياً كالعادة، عدا إيران الرافضة والتى تحمي مصالحها فقط..

نتائج الأحداث :

* حدثت مجازر رهيبة بحق المسلمين والإسلاميين من حزب النهضة على وجه الخصوص - وتقدر بـيـن 12.000 - 20.000 بالإضافة لآلاف قتلوا أثناء هربهم من الأحداث ، بما فيهم من شـيــوخ ونساء وأطفال بأيدي الشيوعيين ومسانديهم من الروس ، وغرق المئات في نهر جيحون أثـــنـــــاء الفرار، والهجرة القسرية لأعداد كبيرة من العائلات التي تضررت بالأحداث خصوصاً فـي جـنــوب الـبـــلاد إلى أفغانستان (يقدرون بمائتي ألف نسمة) وهم يعيشون في وضع سيء للغاية من برد شديد، انعدام للمؤن والألبسة والخيام.

* توقف جميع الأنشطة الإسلامية وحلقــات العلم ، وفرار الكثير من طلبة العلم إلى البلاد المجاورة والتخفي.

* الـمـلاحقة أو القتل والتعذيب اليومي لأي شخص اشترك في المظاهرات أو ينتمى لحزب النهضة.
* تدمير وحرق ونهب مناطق الإسلاميين.
* توقف أنشطة البلاد الاقتصادية والأعمال والمدارس ودمار في كثير من مرافق البلد.

تقويم للأحداث :

- المرتــدون من العلمانيين والشيوعيين يمثلون أكبر خطر على الأمة وعداوتهم لهذا الدين وأهله متــأصلة في نفوسهم وهم لا يرعوون عن ارتكاب الجرائم والقتل والاغتصاب للحفاظ على مصالحـهـم ، ويتحالفون مع أعداء الأمة الخارجيين كالنصارى واليهود وغيرهم لوأد المسلمين في ديارهم.
- الغرب والشرق على السواء لا يـمـكـــن أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام قيام دولة إسلامية، وسيبذلون وسعهم للحيلولة دون ذلك إن ظهرت بوادره (مثال البوسنة والهرسك).
- سلامة المنهج ووضوح الراية ركن أساسي فـي الـعـمـــــــل السياسي للمسلمين أما دخول الإسلاميين في تحالفات مع أعداء الله الذين لا يرقبون في مـؤمـن إلاً ولا ذمة أو مشاركة في حكومات مختلطة فإنه خلل في المنهج وعواقبه
- إن دخـــــول الإسلاميين في اللعبة السياسية قبل أن يشتد عودهم خطر كبير على الدعوة وآثاره لن تـزول بسـهـولـــــة، وكذلك اعتمادهم على جماهير غير واعية ولم تتربَّ تربية سليمة، وإن الأمة تحتاج لجـهـــــود ضخمة من الإعداد والتربية الإيمانية والجهادية قبل خوض المعركة مع أعدائها.
- وإيــران خـطـــر مستفحل وأثرها في طاجكستان ملموس نظراً لوجود اللغة المشتركة وقد استفادت كثيراً مـــــن تقاعس أهل السنة، وإخواننا في حزب النهضة اكتشفوا - أخيراً - حقيقتهم بعد أن وثقوا بهم في السنين الماضية، ولا أدل من موقفهم السلبي تجاه الأحداث وكأنها لا تعنيهم.

وأخيراً نقول إن المأســـــاة الـدامــيـة التي عاشتها الأمة في طاجكستان قدر من الله وابتلاء وامتحان ، ونسأل الله -سبحانه وتـعـــالى- ألا تكون عقوبة لهم. إن الأزمات دروس للأمة لترتيب الصفوف ومتابعة الخلل وتصحيح الأخطاء والانتباه للمستقبل، وفي ظني أن الدعوة - في عموم الجمهوريات الإسلامية - سوف تكون تحت مجهر الأعــــداء ولن يدعوا الأمور تصل إلى ما وصلت إليه في طاجكستان، فالأمر سباق بين دعاة الإسلام ودعاة العلمنة،فأيهم يسبق؟

الهوامش:

1- كما ذكرت مجلة فورين بوليسي عدد 87/1992، ومن الجدير بالذكر أنه مطارد حالياً مـن قـبـــل الحكومة الشيوعية، قال تعالى : ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) .

هل يعود الشيوعيون إلى السلطة في كابول

أحمد الإدلبي

يتخوف بعض المراقبين الأفـغــان أن يؤدي الـوضـع المتدهور وغير المستقر في العاصمة كابل بشكل خاص وأفغانستان بشكل عام إلى عودة الشيوعـيين إلى السلـطة كما حصل في دوشنبه عاصمة طاجكستان مؤخراً وذلك بعد أن حكمت المعارضة لمدة ستة أشهر.

المعلومات المتوفرة تشير إلى أن حزب الوطن الشيوعي والذي يضم جناحي الحزب الشيوعي خلق وبرشم، عقد اجتماعاً لقيادته المركزية قبل سقوط نجيب الله في أبريل الماضي، وقرروا التوزع فـي أحـــزاب المجاهدين وبقية المليشيات الأوزبكية بزعامة الجنرال عبد الرشيد دوستم التي تحالفـت إلى جانـب المليشيات الإسماعيلية وحزب الوحدة الشيعي مع أحمد شاه مسعود، ويلعب الرئيس بابراك كارمل الدور الأساسي في هذا التحالف ، وكان الهدف المشترك لكل عناصر التحالف إبـعـــاد الحزب الإسلامي عن السلطة، لكن مع مرور الوقت وإدراك الجميع قوة الحزب الإسلامي، خاصة في معارك أغسطس الماضي عندما فشلت كل عناصر التحالف فـي إبـعـــاد الحــزب عن كابل، بل استطاع التقدم عدة كيلومترات نحو العاصمة. ومع رفض رباني التنحي عن السلطة مع انتهاء فترة ولايته للسلطة وإصراره على عقد مجلس أهل الحل والعقد الذي أثار الشكوك بين الأفغان لرفض خمسة أحزاب رئيسية لعقد هذا المجلس ، وقد وقف الشيخ سياف بشكل واضح إلى جانب رباني وهو موقف يثير تساؤلات عدة.

حـــاول حكمتيار كسر التحالف الأخير فقام بتشجيع أي قتال بين عناصر التحالف حتى وقع الاقـتتال بـيـــن مسعـود وحزب الوحدة في ديسمبر الماضي نجم عنه تدمير العديد من مناطق الشيعة حيث وجد علاء الدين برجوردي نائب وزير الخارجية الإيراني من الصعب أن يعيد اللحمة بين الطرفـيـن مرة ثانية رغم زيارتين قام بهما إلى كابل عقب وصول رباني إلى السلطة، وقد التزم حكـمـتـيـار الصمت حالياً حيال المليشيات حيث اكتفى بالمطالبة في حل كل قطاعات بقايا النظام الشـيـوعـي السابق ، ولم يتحدث عن المليشيات أبداً، حتى أنه في تهديده الأخير هدد الحكومة بأنــه ما لم تقم بالإفراج عن أسرى الحزب الإسلامي الذين بحوزة الحكومة منذ أبريل الماضي

فـسـيـعـمــد الحزب إلى إسقاط أي طائرة تحلق في سماء كابل أو تقلع من مطار بغرام أو كابل الدولي، ولـم يـهــدد بقصف الطائرات الجاثمة على أرض المطار حتى لا يُعد هذا هجوماً على مواقع المليشيات.
وحسب قول المهندس حكمتيار فقد وضع ثلاثة شروط للمليشيات حتى يتعاون معها: الـتـخـلـي عن مواقع (بالاحصار، وتبة مهراجان ، والمطار الدولي) وهي مواقع استراتيجية من يتحكم بها يستطيع السيطرة على كابل..
ويبدو أن اسـتـمـرار الوضع بهذا الشكل دون رجحان لهذه الكفة أو تلك سيصعد المواجهة بين حكمتيار والأحــــزاب الأخرى خاصة بعد القتال الأخير بين قوات حكمتيار وسياف حول كابل حيث إن قوة الأحزاب الشيوعية لم تمس ورغم هروب قادتها فإنها لم تستقر في كراتشي أو إسلام آباد وإنـمــــا فـضـلـت البقاء في بيشاور رغم تعرضها للخطر مما يشير إلى عزمهم على تنظيم أنفسهم مرة ثانية .

أخبار الجهاد والدعوة في الفلبين

لجنة الإعلام الخارجي في
جبهة تحرير مورو الإسلامية

تصاعدت المعارك بين مـجـاهـدي جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أميرهم الأخ الأستاذ سلامات هاشم وبين جنود القــوات المسلحة الفلبينية منذ أواخر الأسبوع الأول لهذا الشهر (جمادى الأولى 1413 هـ). وقد حـشــد الـعــدو عــدداً كبيراً من جنوده المدعمين بالمدفعية الثقيلة في الجبهات القتالية المتاخمة لحدود محافظات لانا الجنوبية وماجنداناو وكوتياتو الشمالية يوم الثلاثاء 9 جمادى الأولى 1413 هـ. وشـعـــر المجاهدون أن جنود العدو كانوا يستعدون للهجوم ، فتسلل بعض فصائلهم وراء العدو وهـجـمـــوا عليهم من الوراء بالقنابل اليدوية والقاذفات والبنادق الاوتوماتيكية السريعة بعد صلاة الفجر مباشرة من يوم الأربعاء 10 جمادى الأولى 1413 هـ. وقتل ثلاثة وأربعون منهم - أي الـعــدو - في الحال وأصيب عدد منهم ، وواصل المجاهدون هجومهم لعدة ساعات وتمكنوا مـن تشتيت صــف الـعـدو وإضـعــاف مـعـنـويـاتهـم مما أدى إلى تقهقرهم ولم يتمكنوا من تنفيذ خطتهم للهجوم على المجاهدين واستمر بعد ذلـك تبادل القصف بالمدفعية إلى اليوم التالي (الخميس 11 جمادى الأولى 1413 هـ) وأما المجاهدون فقد استشهد أحدهم وأصيب بعضهم.
وقد دارت المعارك الشديدة بـيـن الـجـانـبـيـن خلال الاجتماع الدوري العام الحادي عشر المنعقد في الفترة بين (8-11 جمادى الأولى 1413 هـ)

لـجـبـهـــة تحـريـر مورو الإسلامية بقاعدة أبي بكر الصديق حيث مقر القيادة العامة للجهاد الإسلامي في جنوب الفلبين.
والمعارك في الجبهات القتالية المذكورة أمر عادي والاشتباكات وتبادل إطلاق النار مستمر، وتشتد المعارك حيناً وتتضاءل حيناً آخر، والمجاهدون ثابتون في خنادقـهـم يـتـناوبون منذ أوائل العام الهجري الماضي (1412).

لمحة عن الاجتماع الدوري العام :

هو اجتماع سنوي يحضره كل من اللجنة المركزية لتحرير مورو الإسلامية ومجلس الشورى ومـجـلـس الجـهــاد التنفيذي ومـنـدوبــون عن اللجان والقيادات الإقليمية في المحافظات المختلفة في مناطق مورو للتشاور والمشاركة فـي وضــع سياسة عامة وخطة للجبهة وبرنامج للعمل تطبيقاً لقوله تعالى : ((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)).

ومن أهم القرارات التي اتخذت :

- تأكيد القرارات السابقة بأن هدف جبهة تحرير مورو الإسلامية هو إقامة دولة الإسلام في أرض مورو وتحكم بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- .
- وإن الـدعـــوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وبجميع مــا تمـلـكـه مـن الأمـــور المعنوية والعقلية والمادية هو طريقنا للوصول إلى الهدف.
- وأن مـا يسـمـى بالحلول السلمية أو السياسية من الحيل التي يلجأ إليها الأعداء لخداع المسلمين ، لذلك لا وسيلة للوصول إلى الهدف إلا الجهاد في سيبل الله بمعنى القتال ، ولا وسيلة إلا القوة لردع الباطل.

الملف الإعلامي

أخبار

* أكدت مصادر دبلوماسية في أسـمـرا أن الرئيس الاريتري ، المؤقت أسياس أفورقي توجه إلى تل أبيب للعلاج من الملاريا الدماغـيــة وأوضحت أن الجهات الاريترية المسؤولة تمتنع عن ذكر أسباب "اختفائه" منذ الثلاثاء واعـتـذاره عـن عـــدم لقاء الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي الذي زار البلاد.

الحياة 8 / 1 / 1993

* مصادر أفريقية مطلعة تؤكد أن جماعة القس مون اليمينية الـمتطرفة - وهي على علاقة وثيقة بفئات يمينية متطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية والــقـارة الأمريكية بمجملها - بدأت تحركاً واسعاً للتغلغل في القارة الأفريقية، خصوصاً فـي الجـــزائر وتونس والمغرب ، بالإضافة إلى شاطىء العاج وتوغو وزائير وأفريقيا الجنوبية. ينطلق الـقـــس مون الذي يمول

مجموعة أحزاب وصحف في أوربا وأميركا، من شركات تجارية ضخـمـة أسس الأولى منها في كوريا الجنوبية عام 1959، وهو يدير حالياً "أعماله" من مكاتبه الـجـديـــدة في جنيف حيث انتقل مؤخراَ مستعيضاً عن مقره الدائم في زيوريخ.

الأسبوع العربي 11/1/1993

* آخر تقارير أمنية في أكثر من عاصمة أوربية غربية يؤكـــد أن الـتـعـاون الـعـسـكري بين القيادة الصربية وإسرائيل في تنام ملحوظ وأن الطرف الآخر المستعد لدخول هذه الحـلـبــة "الودية" هو روسيا.

الأسبوع العربي 11/1/1993

متابعات

الصحف الغربية ومسألة البوسنة

جاء في افتتاحية الديلي ميل (1) البريطانية بتاريخ 6/12/1992 ما يلي :
في الوقت الذي أصبح فيه وضع المسلمين الـبـاقـيـن في الـبـوسنة يثير الشفقة والرحمة بشكل أكثر، ازاد الضغط من أجل تدخل عسكري غربي في النزاع. فالرئيس جورج بوش وفرانسوا ميتران يريدان تنفيذ المنطقة الحيوية الآمـنـة، وهــذا يعنـي إسقاط أية طائرة بوسنية ذات جناح ثابت أو طائرة مروحية تحلق في الأجواء المحظورة. فلم لا نعطي الصرب البوسنيين ضربة قاسية فهم المعتدون والمنفذون أساساً لسياسة القمع؟ ولم لا نسحقـهـم؟ هذا فعلاً شيء يثير الإغراء لأن المسألة الأخلاقية لا يمكن الرد عليها. ومع هذا يبقى جــــون مـيـجـــور ودغــلاس هـيـرد قلقين ولكن ليس دون سبب. فإذا ما أسقطت طائرات مروحية صربية هل سيصبح إيصال المواد الغذائية أكثر سهولة أو أشد صعوبة؟ وهل يصبح الجنود البريطانيون الذين يرافقون بشجاعة قوافل التموين أكثر عرضة لقذائف الصرب؟ وهل سيرتجف عناصر المليشيات الصربـيـــة المتواجدة على التلال أم أنهم سيزدادون عنفاً؟ نحن لا نعرف ومعظم السياسيين لا يعرفون أيضاً لكن الذين هم مؤهلين أكثر من غيرهم أولئك الضباط البريطانيون المتواجدون في سـاحــــة الميدان في البوسنة تحت علم الأمم المتحدة. فإذا ما أشار هؤلاء إلى الحذر فإنه يتوجب عـنـدئــذ على رئيس الوزراء جون ميجور أن يستجيب لنصيحتهم.

تعليق :

مـن أراد فهم السياسة البريطانية فليتأمل ما تقوله هذه الصحيفة، وكيف تداور وتنافق وفي الـنـهـايــة تـعـتـذر بمـصـلـحـة الجنود البريطانيين والأصل هو الحلف المبطن مع الصرب

1- الديلي ميل جريدة يومية تمـثــل الطبقة الوسطى من حزب المحافظين ، وهي جريدة مهمة تستطيع أن تؤثر في الناس.

لن نسمح بسقوط سراييفو(*)

أعلن زعيم حزب الديمقراطيين الأحرار بادي أشداون الذي انفرد حزبه عن بقية الأحزاب في بريطانيا بتأييد خطوة عسكرية لوقف اعتداءات الصرب بـــأن : "قوات الصرب تجلس على التلال آمنة من العقاب وتدمر مدينة مدينة من أجل التسلية. فقد حانت اللحظة التي يتوجب أن نفعل فيها شيئاً ما. فإذا ما استخدم سلاح الجو هنا (أي في البوسنة) فإنه يمكن تدمير الأسلحة الثقيلة التي تدمر سراييفو. وقال بادي أشداون فـي وجــه الانتقادات التي تقول بأن سلاح الجو غير فعال في البوسنة: "إذا كان الأمر كذلك فـلـمـاذا يخشى الصرب هذا الخيار كثيراً؟".

وقـــال بعد لقائه بنائب رئيس البوسنة احجيب غانيك : "إنني والسيد غانيك متفقين في الرؤيـــة. فنحن لن نسمح بسقوط سراييفو في يد دولة الصرب في عملها العدوانى الأخير. فسراييفو هي رمز أهليتنا للتمسك بالقانون الدولي. إنني أتوسل إلى الغرب أن لا يحسب فقط تكاليف التدخل ولكن عدم التدخل الذي ستكون نتيجته تدمير مدينة أوروبية.

(*) الاندبندنت 16/12/1991.

الذبح باسم صربيا الكبرى

نشرت صحيفة الهيرالد تريبيون تقريراً أخبارياً يوم الاثنين في 14 ديسمبر 1992 حول هذا الموضوع لمراسلتها في زغرب سلافنكا دركولك فيما يلي عرض لبعض ما ورد فيه :

يبدو أن مـا يـحـــدث فـي البوسنة والهرسك ضد النساء المسلمات والكروات لا مثيل له في تاريخ جرائم الحرب. فالـنـسـاء يغتصبن بطريقة منظمة وكأنها جريمة حرب معدة لتدمير شعب مسلم وتقويض حضارته وتـكـامـلـه الـديـنـي وتقاليده. وأعداد النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب يثير القشعريرة. فقد قدرت وزارة الداخلية في البوسنة والهرسك في شهر أكتوبر الماضي ، أن خمسين ألف امرأة قد اغتصبت وأن عدداً كبيراً قد تعرض للاستجواب. ويخشى أن يكون العدد قد تضاعف منذ ذلك الـوقــت أكـثــر. فـفـي العالم المتحضر يعتبر الاغتصاب جريمة حرب والاغتصاب الجماعي وسيلة إبادة محرمة في القانون الدولي. فحياة عشرات الآلاف من النساء قد دمرت والعالم مدين لهن بذلك عـلـى الأقـل. فيما يلي سرد بسيط لما جرى لواحدة منهن فقط :

تقول السيدة ز. ن. البالغة من العمر أربعين عاماً أن (عصابات) التشكانيك بمجرد دخولها المدينة بدأت باختيار النساء والأطفال والعجز. فالرجال اقتيدوا، بحجة إعادة توزيعهم ، إلى معسكرات التصفية والتعذيب. أما نحن النسوة فقد ساقونا إلى مدرسة حولت إلى معسكر. وقام جيراننا السابقون بوضعنا في

السجون فقد عرفت العديد ممن كانوا يزوروننا في الماضي. وبـمـجـرد دخـولـنـا المعسكر دخل أتباع الزعيم الصربي ميلان مارتيك ببنادقهم واختاروا الفتيات والنساء صـغــار السن ووضعوهن في قاعة وأخبروا عصابات التشكانيك بأن يفعلوا بهن ما يشاؤوا. خيم الهدوء للحظات قفز بعدها رجال التشكانيك على النسوة كالحيوانات وأمعنوا بتمزيق ملابسهن وشد شعرهن وقطع نهودهن بالسكاكين. وقام هؤلاء بقطع كرش أي امرأة تلبس سروالاً تقـلـيـدياً خاصاً بالمسلمين. وأما النسوة اللواتي بدأن بالصراخ فقد قتلن مباشرة. وقام رجال التشكانـيـك باغتصاب النساء والفتيات وتعذيبهن أمام بضعة مئات من السجناء لعدة أيام. لقد كان منظراً لا يمكن تحمله ، رؤية اغتصاب فتيات أمام ذويهن.

في المساء عادة وبعد أن يشرب رجال التشكانيك كثيراً من الخمر، يأتون إلى القاعة حاملين مصباحاً يدوسون علينا بحثاً عــن فتيات تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر، لكن الفتيات الصغار يـبــدأن بالصــراخ ويتشبثن بأمهاتهن بقوة فيعلق شيء من ثياب أمهاتهن في أيدهن وهن يحملن مكرهات. وبـيـنـما يقوم رجال التشكانيك بذلك يطلق النار علينا. وبعد ذلك يترك رجال التشكانيك أجـســاد الفتيات في القاعة لكي نراها. لقد ذرفن الدموع حتى الصباح. بعدها تأخذ الجثث لترمى فـي النهر. وهذه الصورة تتكرر كل يوم : يغتصبون النساء ويقتلونهن أمام المئات منا.

وذات مرة، أخذت امرأة صغيرة السن مع طفلها إلى وسط القاعة. كان ذلك في شهر مايو. فقد طلبوا منها أن تخلع ثيابها. وضعت طفلـهـا على الأرض بجانبها وقام أربعة رجال من التشكانيك باغتصابها. لقد كانت تنظر بصمت إلى طفلها الجاهش في البكاء. وعندما تركوها طلبت منهم إذا كان بإمكانها إرضاع طفلها فما كان منهم إلا أن قطعوا رأس الطفل بسكين. لقد صرخت المرأة المسكينة فأخذوها إلى الخارج ولم تعد بعدها إلى القاعة.

في دائرة الضوء

مشروع تقسيم العالم الإسلامي
دويلات الطوائف إلى أين؟!

يكثر الحديث في الآونة الأخيرة عـن مشاريع دويلات الطوائف وما يسمى بـ"الكانتونات"، خصوصاً مع تزايد النغمة الانفصالـيـــة ونغمة إقامة المناطق المحمية؟! وتقف خلفها بعض الأصابع الخفية حول هذه الدعوات القـديـمـة والمتجددة باسم الإنسانية والدفاع عن حقوق الأقليات والطوائف الدينية والعرقية والمذهبية..

فـفـي الـعــراق أقيمت منطقة لحماية الشيعة في جنوب العراق بعد إقامة محمية للأكراد في الشمال؟!

وفي السودان ، طالبت حركة التمرد النصرانية في محادثات جوبا الأخيرة بانفصال جنوب السودان عـــن شـمـالـــه. أما مجلس الكنائس الأفريقي فقد دعا إلى إقامة منطقة محمية في جنوب السودان على غرار ما يحدث في شمال العرق وجنوبه ، وكرر مثل هذا الكلام نفسه جون قرنق ، أما الولايات المتحدة فقد صرحت أنها لا تعارض مبدئياً تقسيم السودان؟!

وفي مصر دعت بعض الجمـعـيـات القبطية التي تعيش في الخارج أمريكا إلى تدخل إنساني وإقامة منطقة محمية للأقباط لإنقاذهم من مذابح المسلمين؟!

لقد أصبح ما يسمى بـ "المناطق المحمية" تقليداً تسعى الدول الغربية على إشاعته في العالم الإسلامي فقط فهو مفصل على جسد الأمة الإسلامية المثخن بالجراح.

أما لبنان ، فقد كتبت مجلة الــوطـــن الـعـربـي (18/91992) عـن مشـروع "محمية دولية للموارنة في لبنان " بعد مقاطعة الموارنة للانتخابات الآخيرة التي أقـيـمـت في لبنان مؤخراً وعلى رأسهم بطريرك الموارنة، حيث أجرى هذا البطريرك اتصالات مــع بـابـا الـفـاتيكان يدعوه إلى التدخل لإنقاذ نصارى لبنان من الاضطهاد والتهجير القسري.

بالإضافة إلى مشروع تقسيم البوسنة والهرسك بين النصارى من الصرب والكروات ، وكذلك أفـغـانستان هناك محاولة لتقسيمها على أساس عرقي ، أو على أساس مذهبي وعقدي بين الشيوعيين وأهل السنة والروافض.

إنه صـورة أخرى لاتفاقية "سايكس -بيكو" بينما تتجه الدول الأخرى إلى الوحدة والتكتل مثل الوحدة الأوربية، والتكتل القادم بين دول أمريكا الشمالية وغيرها.

إحياء اليسار العربي
ماذا وراءه؟!

كالعادة تبدو الأوضاع في الـعالم العربي مقلوبة، فعلى الرغم من سقوط اليسار وأطروحاته في العالم أجمع، نجد أن التيارات اليسارية في العالم العربي ما زالت تصول وتجول،وتستولي على الـمـنـابـر الثـقـافـيـة والإعـلامية، والمؤسسات العلمية والتعليمية، بالإضافة إلى إنشاء الأحزاب وإصدار الصحف والتي تلجلج بالأطروحات اليسارية المهترئة..

بل هذه التيارات ازدادت نشاطاً وحـيـويـة بعد سقوط معاقل اليسار في الشرق والغرب الذي هو بالنسبة لها سند أيديولوجي ومالي وتنـظـيـمـي؟!

واسـتـطاعت الوصول والاستيلاء على الكثير من المناصب والمنابر الإعلامية

والثقافية والعلمية، والسبب في ذلك أن الحكومات العربية كانت تتخوف من هذه التيارات اليسارية وتسعى إلى تقليم أظافرها خشية من استفحال أمرها، ولكن بعد سقوط اليسار وزواله،زال الخوف من هذه التيارات والاتجاهات اليسارية لأنها في وضعها الحالي أضعف من أن تكون مصدر خطر على هذه الحكومات، والسبب الثاني هو أن الوضع يتطلب التكاتف والتعاون ضد عدو حقيقي آخر وهو "الأصولية" كما سموها. ولا أدل على ذلك من أن الأحزاب اليسارية الشيوعية والاشتراكية تصول وتجول في الساحة بينما يزج آلاف من العلماء والدعاة والشباب الصالحين في غياهب السجون.

ومن أمثلة المحاولات المستميتة لإحياء اليسار وتلميع وجوه أصحابه ، ما نراه من تغلغل اليسار في المنابر الثقافية والإعلامية وإليك الأمثلة :
رئيس تحرير مجلة "فصول" حالياً د. جابر عصفور وهو يساري ، رئيس تحرير مجلة "القاهرة" غالي شكري وهو نصراني يساري ، رئيس تحرير مجلة "إبداع" أحمد عبد المعطي حجازي وهو حداثي يساري ، حيث تم إقالة رؤساء التحرير السابقين والإتيان بهؤلاء اليساريين. وهذا تسلط من قبل اليسار على مثل هذه القنوات الإعلامية والثقافية مما دعا د. مصطفى هدراة إلى كتابة رسالة إلى الرئيس المصري يشتكي من خلالها سيطرة "الثقافة الماركسية العلمانية وفلول الشيوعيين على المناصب الإعلامية والثقافية في مصر"؟!

أما في الجانب السياسي فإننا نرى محاولات متعددة من أجل تلميع الناصرية والتجربة الناصرية من خلال المقالات والندوات والكتب، وقد أجمع المراقبون على أن إنشاء الحزب الناصري وإعطاءه ترخيصاً على ذلك إنما هو من أجل مواجهة الأصولية المزعومة وبالذات على صعيد الفكر والأيديولوجيا. ويحاول هذا الحزب ركوب الموجة "الإسلامية" رغم البون الشاسع بين الطريقين؟! لما سئل الأمين العام المؤقت "ضياء الدين داود" عن خلاف الناصريين القديم مع التيارات الإسلامية قال : "لا أعتقد أن هناك حزباً يعارض تطبيق الشريعة الإسلامية، لكن لكل اجتهاده. ولا مجال للحديث عن حزب علماني في المجتمع الإسلامي "(1).

الهوامش:
1- الحياة 12/11/1412هـ.

طبيب الأسرة

مص الإبهام

د. محمد اهليل

إن عادة مص الإبهام أو الأصابع ظاهرة شائعة بين الأطفال،فهي مقبولة من الناحية الطبية لمن هم دون سن الثالثة. أما بعد سن الرابعة فقد يكون تعلق الـطـفـل بإبهامه أو بأصابعه هو المؤشر الوحيد على وجود قلق نفسي أو اضطراب عاطفي عند الطـفـل. إن 10% من الأطفال ما بين 6-12 سنة مبتلون بهذه العادة. قد يصاحب هذه الظاهرة عـــادات مضطربة أخرى مثل :

- شد الشعر: حيث يقوم الطفل بوضع أصابعه بين ثنايا شعره وشده ، وذلك على فترات، أو يقوم بلف خـصـلات مــن شـعـره حول أصبعه أو أصابعه بطريقة عصبية متوترة واضحة للعيان دون أن يحس بها هو نفسه.
- قضم الأظافر.
- أرجحة الجسم.
- صرّ الأسنان.
- ضرب الرأس.
- فرك أجزاء الجسم كاليدين مثلاً .

إن السـمـة المشتركة بين هذه الظواهر أنها نفسية المنشأ: فهي محاولة من الطفل - دون أن يعي - التخفـيـف مـــن حــدة التوتر الذي يحس به. إن بعض هذه العادات أكثر مضايقة للأهل من عادة مص الإبهام ذاتها.

ما هي المشاكل الناتجة عن عادة مص الإبهام؟

إن الطـفـل بمصه إبهامه أو أصابعه ومحاولته تهدئة نفسه إنما يحل مشكلة واحدة ويترك مشاكل عديدة تنشأ وهي :

1- ســوء إطـبـاق الأسـنـان الدائم هذه أهم مشكلة جسدية قد تنجم عن عادة مص الإبهام لفترات طويلة ومستمرة خصوصاً إذا استمرت هذه العادة بعد سقوط الأسنان اللبنية وظهور الأسنان الدائمة، إن درجة ســوء إطباق الأسنان الناجم عن مص الإبهام متفاوتة في شدتها حسب عوامل كثيرة منها: قـــوة ومدة وكثرة أو قلة مص الأصابع /الإبهام. وقد يصل سوء إطباق الأسنان إلى مرحلة مـتقـدمــة تـبـرز فـيهـــا الأسنان العلوية للأمام بشكل واضح كما ينحرف الفك العلوي للجهة التي يوضع فيها الإبـهـام. كـمـا أنــه عند إطباق الفكين تظل هناك فجوة واضحة بين الأسنان. إن حالات مص الإبهام الـشـديــدة قــد تسمع من الغرفة المجاورة مثلاً .

2- عـــادة مص الإبهام قد تخل بالنشاط اليومي للطفل : فالطفل الذي يشغل ذهنه وقواه العقلية بأصـبـعـه وفمه فقط لن ينتبه للأمور الأخرى المحيطة به وعدم الانتباه هذا سيقلل من تفاعله مع الآخرين: فـاسـتـخــدامــه لـيـديـه سيقل لأن إحـداهما في فمه. ويقل أيضاً استخدامه لفمه ولسانه مما قد يؤثر على لغته وتـطــور قـــدرتــه التعبيرية في التفاعل مع الآخرين ، وبالمجمل فإن مشاركته الجسدية واللغوية تقل.

3- لعادة مص الإبهام مردود نفسي سيء على الطفل وذلك لشعور الأبوين بالضيق والحرج لتصرف الطفل لا سيما أمام الناس ، وهكذا ينعكس على تصرفاتهما معه والتي قد تتصف بالقسوة وتتخذ من الزجر والتقريع (ولربما الضرب أحياناً) وسائل علاج.

هل من علاج؟

عادة مــا ينصح الآباء بإهمال شأن هذه العادة لأن معظم الأطفال يتخذونها وسيلة تخفيف لحدة توترهم ، والطـفـل يقلع عنها عندما يحس بالطمأنينة التي تعوضه عن اللجوء لهذه العادة لتهدئة نفسه.
من المهم أن يدرك الأبوان أن أي محاولة علاج مصيرها الفشل - في غالب الأحيان - ما لم يـكـن الطفل قد وصل إلى سن معينة يستطيع معها أن يدرك المشاكل الصحية التي قد تنجم عن عادة مصه إبهامه وبالتالي استنفار دوافعه الذاتية لوقفها.
وقـبـل استشارة الطبيب ، كثيراً ما يحاول الأهل اللجوء إلى أساليب متنوعة مثل : لف يد الطفل أو ربطها، إلباسه قفازاً، وضع مواد حارة (كالفلفل) أو مواد مرة الطعم أو الاستعاضة عـن الإبهام بالمُسْكِتَة "المصاصة". وما لم يدرك الطفل جيداً سبب اختيار الوسيلة العلاجية ووجود رغبته في المشاركة في المعالجة، فإنه بلا شك سينظر لهذه الوسيلة العلاجية كعقاب مما قد يزيد من ردود فعله السلبية ويرفع من حد توتره.
وإليكم بعض النصائح الطبية التي قد تعين في التخلص من هذه العادة:
1- من الضروري أن يحاول الأهل تحديد سبب توتر الطفل والذي قد يدفعه لمص إبهامه، ويـكون ليس بمساءلته بل بمراقبة سلوكه في البيت وملاحظة الحوادث التي تزيد من مصه إبهامــه. فـمـثـلاً : قــد يكون إفراطهم في مداعبة أخيه الأصغر وإهمالهم له السبب المؤدي لتوتره ومن ثم يحاول الأبــوان - ما أمكن - العمل على تفادي أو التقليل من بروز العامل المسبب لتوتر الطفل.
2- على الأهــل العمل على ضبط مشاعرهما أمام الطفل وعدم التصرف بانفعال عند رؤيته يمص إبهامه وعدم محاولة ضربه أو زجره خصوصاً أمام الآخرين أو محاولة جذب أصبعه خارج فمه (يستثنى من هذه الحالة الأخيرة : أثناء نوم الطفل ولا بأس من إخراج إبهامه من فمه برفق). كما لا يجوز جعل الطفل أضحوكة في البيت بسبب هذه العادة.
3- زيادة الوقـت الـذي يقـضـيـه الوالدان مع الطفل وملء هذا الوقت بما يشغل الطفل من أمور نافعة تتناسب مع عمره كاللعب أو التدريس مثلاً .
4 - محاولة إشغال يدي الـطـفـل مـعـظـم الوقت - ما أمكن - باللعب أو الكتابة وذلك بما يناسب سنه..

5- إعادة تشكيل سلوك الطفل : وذلك بتعزيز سلوك الطفل في الفترات التي لا يمص فيها إبهامه: فمثلاً كلما زادت الفترات التي يقلع فيها عن مص إبهامه خلال فترة زمنية معينة (أسـبـوع مثلاً) أو قل عدد المرات التي يمص بها إبهامه في نفس الفترة يعطى الطفل جائزة معــنويـة أو مادية: كأن يعطى كل أسبوع شارة (نجمة ورقية ذهبية اللون) تلصق في كراس خاص لــه وعــنـدمـا يجمـع عدداً معيناً منها يعطى جائزة بسيطة: كقلم أو قصة للأطفال لتشجيع سلوكه للإقلاع عن مص أصبعه.
من المهم أن نذكر أن بعض الـحـالات قد تخفق معها هذه الوسائل وهي الحالات الشديدة، وهذه تحتاج إلى رأي الطبيب النـفـسـي أو تحتاج إلى استخدام بعض الأجهزة الطبية التي توضع بالفم للحيلولة دون وضع الطفل يده داخل فمه.

وفاة الشيخ حمود التويجري

هيثم الحداد

توفي في مدينة الرياض عن عمر يناهز الثمانين، فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري -رحمه الله- رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.
ولا يـتـسـع المجـال هنا لذكر ترجمة مفصلة للشيخ ، ولكن سنذكر أهم ما تميز به. فأولها جلد عجيب على طـلـب العلم وتحصيله، وكان سمة بارزة في حياته منذ أن بدأ الطلب في سن مبكرة حتى أصبح من حملة العلم وناشريه ، فقد بدأ بحفظ القرآن الكريم ، فأتمه ولمّا يبلغ الحادية عشرة مـن عـمـره ، ثم بدأ بطلب العلوم الأخرى على علم المجمعة وفقيهها العلامة عبد الله بن عبد العـزيـز العنقري -رحمه الله تعالى-، وإنك لتعجب حينما تسمع أنه كان يقضي يومه كله من بعد صلاة الفجر، حتى بعد صلاة العشاء في القراءة والطلب.
وقد لازم شيخه عبد الله قرابة ربع قرن، قرأ فيها عليه الصحيح والمسانيد والسن، وأجازه شيخه فيها إجازة عامة، وقرأ عليه فتح الباري، والـمـغـنـي لابن قدامة المقدسي، ومنهاج السنة النبوية ودرء تعارض العقل والنقل ، والفتاوى المصريــة الـكـبـرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد المعاد لابن القيم ، وطائفة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمـيـة وابن القيم وأئمة الدعوة، وغيرها كثير، وأخذ عن العلامة قاضي مكة سليمان بن حمدان، وعـنـه عن رواية المغرب الكبير محمد بن عبد الحي الكتاني يروي الكتب الستة.
ولم تفتر همة الشيخ عن الطلب والتحصيل بمثل هذه القوة والرغبة مع تقدمه في السن. وإنـك لتجد تعليقاته وتعقيباته وتصويباته ، على ما يقرأ، فله تعليقات كثيرة على نسخة مـسـنـد الإمــــام أحمد بن حنبل المطبوعة بتحقيق أحمد شاكر، ومثل هذا تجد على فتح الباري ، وغيرهـا. وكما كان حال سلفنا الصالح من الجمع بين الجلد على العلم ، وكثرة العبادة، كان الشـيـخ كذلك

وهذا من دلائل الإخلاص. وله في دماثة الخلق وطيب المعشر، شيء عجيب، يقول أبناؤه: مـــا كـــان الشـيخ يطلب من أحد شيئاً البتة، وحتى بعد أن ضعفت صحته ، فكان يقوم بإعداد الشاي والقـهـوة بنفسه ، مع إلحاح أبنائه عليه بعدم فعل ذلك راحة لجسده ، بل إنا لنجد أبعد من هــــذا عـنـد شيخنا، فهو خادم رفقته في السفر، حتى وقد تقدمت به السن، مع حظوته وتقدير الرفقة العظيم له، وقد يقوم بإعداد الطعام ، ومن ذلك أنه كان يقوم الليل الآخر كعادته ثم يضطجع اضطجاعــة خفيفة حتى يحين وقت الصبح فيسخن الماء لرفقته من أجل الوضوء. وتلك العبادة أكسبت ذلـك الشيخ -رفع الله درجته- ورعاً في الأموال والأعراض ، فلم يلِ طيلة عمره عملاً رسمياً، خوفاً من عدم القيام به على وجهه الأتم ، أو لأمر آخر قد رآه ، وأُلزم بالقضاء فهرب منه متخفـياً إلـى الريـاض ، ثم أُجبر عليه متنقلاً بين مدينة رحيمة بالمنطقة الشرقية حيث مكث فيها ستة أشهر، ثم الزلفى سنتين ثم لم يعد إليه إلى أن توفاه الله.

واكتفى ببـعـض التـجـارات التي لم يكن يليها بنفسه ، فكان زاهداً في الدنيا، وقبل وفاته أعطى أكبر أبنائه جميع ما يملك - ولم يكن شيئاً كبيراً - ليتصدق به كله ، فلم يخلف -رحمه الله- وراءه عـقــــاراً أو مـالاً، سوى البيت الذي يعيش فيه مع أبنائه. أما ورعه في الأعراض ، فمضرب مثل ، فلم يُـسـمـــع أنه تكلم في أحد البتة، لا عالماً ولا متعلماً، ولا عامياً. ومما يحسن ذكره أن الشيخ كان من المتابعين لأحوال المسلمين وما يجري لهم، فكان يتحرق لآلامهم حتى أن أبناءه أوصوا زواره بعدم ذكر جراحات المسلمين أمــامــه حتى لا يزداد عليه المرض. وكان ذا مواقف مشهودة في دعم أهل الخير وإصلاح ذات البـيــن وكان كثير الثناء والدعاء للصحوة الإسلامية ورجالاتها.

ترك الشيخ ما يزيد عن خمسين كتاباً منها:

- الإيضاح والتبين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين.
- تحفة الإخوان في ما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران.

ومن آخرها صدوراً:

- قصص العقوبات والعبر والمواعظ.
- تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام.

ولــد الشـيـخ فـي مدينة المجمعة عام 1334هـ ووافته المنية يوم الثلاثاء لخمس مضين من رجب عام ثلاثة عشر وأربعمائة للهجرة عن عمر يقارب الثمانين عاماً. وكان مشهد جنازته مهيباً وتمثل لنا مقــولـــة الإمــام أحـمـد بن حنبل -رحمه الله- : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز.

وكم فـي ذلك المشهد من إغاظة لأهل الزيغ من مبتدعة، أو علمانيين ، فتلك الجموع التي بدأت بالتوافد على مدينة الرياض منذ سماعها النبأ، ما حملها

على ذلك إلا حب العلماء والصالحين بشكل عام ، فكثير ممن شهد جنازته لم يكن على معرفة شخصية بالشيخ.
وإن فـي ذلـك المشهـد إثباتاً لا يدع مجالاً للشك في التفاف الناس حول علمائهم ، ومقدار الحب العظيم الذي يكنونه لهم.

وضع الحجر الأساسي لأول مركز إسلامي في البانيا

عماد الدين بكري إسماعيل

بعد اندحار الشيوعية بادرت جـمـعـيـة الوقف الإسلامي فغرست أول غرس لها في ألبانيا، وذلك بوضع اللبنة الأولى في مركز الفـرقـــان الإسـلامـــي بتيرانا - العاصمة -، وقد شهد المناسبة جمع غفير على رأسهم رئيس جمهورية ألبانيا الـدكـتــور صالح بريشة الذي ظهر متأثراً جداً من رؤيته للجمع الذي ضم الصغير والكبير، التلميذ والـعـامل ، وكان مما قاله دالاً على تأثره : "أنا سعيد جداً بأن أضع بيدي الحجر الأساس لأول مـركــز إسـلامـــي بألـبـانـيـا بـعـد غـيبة للعمل الإسلامي طويلة، كم أنا سعيد برجوع الألبان إلى دينهم ".
وشهد المناسبة أعضـــاء مجلس أمناء جمعية الوقف الإسلامي ، ومديرو الهيئات والمنظمات الإسلامية العاملة بألبانيا وجمع كبير من موظفيها وموظفي الدولة بتيرانا.
والمركز سيبنى إن شاء الله تعالى على مساحة 40.000 م 2 ويضم المنشآت الآتية :
1- مسجد جامع.
2- مدرسة ابتدائية.
3- مدرسة ثانوية.
4- سكن داخلي للطلاب.
5- مستوصف صحي يضم خمس عيادات إلى جانب المعمل وغرفة الأشعة والصيدلية.
6- عمارتان في كل واحدة 6 شقق لسكن الأطباء والمعلمين والموظفين.
7- صالة رياضية مغلقة، بالإضافة إلى الملاعب المفتوحة.
8- مكتبة عامة للمطالعة.
وسـتـبـنـي الـجـمـعـيـة ثلاثة مراكز في ثلاث مدن أخرى، وهي اشكودرة، كاوايا ودورس، بنفـس مـواصفات مركز تيرانا، هذا وسيبدأ العمل في المراكز مجتمعة في وقت واحد إن شاء الله تعالى. نسأل الله التوفيق والسداد.

منتدى القراء

عملية (إعادة الأمل)!

عبد الله أبو الهدى

في عصر الثمالة حيث يتجرع الجـمـيـع مــن دمـــاء المسلمين تأتي عملية ما يسمى (باعادة الأمل) في الصومال الجريح لتطرح المزيد من الشكوك عن دور إنقاذي مزعوم لمجلس الأمن والأمم المتحدة في إنهاء مأساة هذا الشعب المسلم الـذي أنهـكـتـه الـمـجـاعـــــات وحروب العصابات المختلفة.. فنحن لم نتعود أبداً رؤية الكاوبوي الأمريكي وقد حركته أثــارة مــن شهامة أو مروءة أو مشاعر إنسانية، وقد عرفنا كيف أن (هنري كيسنجر) مهندس السياسة الأمريكية الحديثة، اشتهر بازدرائه الاعتبارات الأخلاقية في السياسة الخارجية، وهو ما نلاحـظـــه جلياً من خلال التعامل الأمريكي والغربي عموماً مع مأساة المسلمين في البوسنة والـهـرسـك أو فـلـسـطـيـن أو الهـنـد أو قبرص أو غيرها! فكيف لم تستثرهم تلك المآســي واستثارتهم هذه المشكلة؟ وهل يا ترى تـكـون بريـئـة شهـامـتهـم هذه أم أن أمريكا عودتنا ابتلاع سكاكينها على مراحل؟!

إننا لـــو نظـرنا إلى التصريحات المعلنة لجورج بوش أو ديك تشيني أو كولن باول لوجدنا تناقضات صـارخـة فيما بينها؛ فالأول جعل لقواته استقلالية تامة عن الآخرين ونجده لم يستبعد أشياء (أخـــرى) إذا ما دعت الضرورة، والثاني حدد مدة الانسحاب بمدة اقصاها 20/1/1993 يوم دخـول الرئيس كلنتون البيت الأبيض والثالث أبلغ الصحفيين أن المهمة لا تنفذ قبل ثلاثة أشهر على أقل تقدير! ولعل في هذا ما يدل على أن ثمة خطة ثانية أراد بها جورج بوش تجريـــع العرب والمسلمين كأساً من كؤوس صداقته لهم ، ونحن لم ننسى المباركات العربية التي سبقت هذا التدخل كونه الحل الوحيد لمشاكل الصومال (المعقدة)... بقي أن نقول إن التدخل الأمـريكــي (الأخوي) في شؤون هذا البلد المنكوب لم تحركه أية اعتبارات إنسانية أو مشاعر فياضة وعواطف رقيقة، بل هو مبني على محض المصلحة.. هذه المصلحة التي جاءت الآن على شكل مغامرة جديدة تستهدف:

1- إحداث اختراق عسكري وسياسي في الخاصرة الإفريقية بمبررات ساذجة.

2- الهيمنة على هذا البلد المسلم الذي يملك أطول ساحل بحري في أفريقيا (حوالي 3330 كم).

3- تطويقاً عسكرياً لمضيق باب المندب الذي لا يقل أهمية عن قناة السويس.

4 - وضع اليد على ثروات الصومال ومعاينة حقول اليورانيوم الضخمة في الأوغادين.

5- الظهور بمظهر المنقذ الشهم الذي ساهم في إنهاء أكبر كارثة مجاعة في أفريقيا.

6- ربـمـا الـتـمـهـيـد لـتـدخـل سافر في شؤون السودان الذي لا تروق للعم سام توجهات حكومته!
هــذا وللعلم فإن بعض الطائرات التي كانت تقل أطنان الإغاثة الصومالية كانت ايضاً تنقل أطنان الأسلحة للمليشيات المتقاتلة.. واسألوا إن شئتم (محمد سحنون) المبعوث الدولي الذي استقال.

وللدعاة زمن آخر..!

أبو جهاد حسين بن علي زومي

نظرت من نافذة الطائرة فإذا كل شيء حولها يسرع في الذهاب.. وما كان قريباً إذا هو بعيد بعيد!
وأردفت بنظرة أخرى على ساعتي فإذا عقاربها ما بين تقارب وتباعد.. تلازم وتنافر.. لكن الشيء الوحيد الذي يجمعها أنها تسير دوماً للأمام.. نعم ، إنها تسير للأمام بدقة عجيبة متناهية.. دونما كلل أو ملل!
كل شيء حولنا يذكرنا بـمـرور الـزمـــــن بسـرعة ملفـتة للنظر!.. بل حتى ذواتنا.. نمونا السريع.. دقات قلوبنا.. لا تدع لنا مجالاً للشك فـي سرعة الزمن! ولذلك يحكم الإنسان في بادئ أمره وبنظرته المحدودة أن حياته قصيرة.. بل قصيرة جداً !!
وهذا الواقع يصح على كل من لم يعرف العيش في الحياة الطويلة !.. نعم ، إن هناك حياة طويلة.. طويلة بما تحمله من معان سامية.. لا بمقياس السرعة والمادة!!
هذه الحياة لم يعش بها ويشعر بحلاوتها وطولها إلا فئة قليلة امتازت عن غثاء البشرية.. إنهم الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الناس وهداية الإنسـانـيـة.. إنهـم الدعـاة إلـى الله عز وجل.
وقد تحدث (سيد قطب) - رحمه الله - عن هذه الحياة بكلام رائع ، جد رائع فقال : عندما نعيش لذواتنا فحسب ، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي ، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود!..
أمـا عندما نعيش لغيرنا، أي عندما نعيش لفكرة، فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض!..
إنـنـا نربـح أضعاف عمرنا الفردي في هذه الحالة، نربحها حقيقة لا وهماً، فتصور الحياة على هـذا النحو، يضاعف شعورنا بأيامنا وساعاتنا ولحظاتنا.. وليست الحياة بعدّ السنين ولكنها بعداد المشاعر.
وما يـسـمـيـه (الواقـعـيـون) في هذه الحالة (وهماً)! هو في (الواقع)، (حقيقة) أصح من كل حقائقهم !.. (1)

نعم هــــذه هي حياة الدعاة.. ولهم حياة أخرى هي أجلّ وأسمى من هذه الحياة.. حياة لا توصف بطــول ولا قصر!.. لأنها في الحقيقة حياة خلود لا يناوشه الزمن بهرم ولا بلى.. عند الرفيق الأعلى!

الهوامش:

1- أفراح الروح ص 9.

زمان الفاتحين

محمد بن سعد العجلان

أسدل ستارك يا زمان الفاتحين
أسدل ستارك أيها التاريخ وضاء الجبين
أسدل ستارك إننا
ما بين غي وانهزام
لا سعد يمتشق الحسامَ ولا صلاح الدين
لا القادسية شمسها انبثقت ولا حطين
أسدل ستارك يا زمان الفاتحين

***

في ظل هذا الانقسام
في ظل قانون النظام
وظل مأدبة اللئام
وفي ظل تحوير الجهاد إلى سلام
والاحتكام لغير رب الاحتكام
صرنا كقطعان النعام
أسدل ستارك يا زمان الفاتحين
وقل على العرب السلام

***

من للجهاد إذا أهين الواعظون
وتربصت بهم المنون
وتشبعت بدمائهم غرف السجون
ورأيت أعداء العقيدة يسرحون ويمرحون
من كل فج ينسلون
وعلى دماء شعوبنا يتقامرون
من للجهاد...
يا أمتي من للجهاد؟

***

أسدل ستارك يا زمان الفاتحين

أسدل ستارك وانتظر
أسدل ستارك واصطبر
فلرب قلب ينفطر
ولرب قلب يستعر
ولرُبما في عصرنا
يأتي الزمان المنتظر
ولربما من صلبنا
تأتي صناديد البشر
ولرُبما من قهرنا
تأتي فلول الغاضبين
ولربما من ذلنا
يأتي إباء الأولين
ولربما من بيننا
يأتي أمير المؤمنين
يأتي عُمر
يأتي الظَفر
يأتي صلاح الدين

قديم جديد

فلنتعصب (*)..!!

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي
- رحمه الله -

قال صاحب سر (م) باشا:

جاءني يوماً صحفي إنجليزي من هـؤلاء الكـتاب المتعصبين الذين تطلقهم إنجلترا كما تطلق مدافعها؛ غير أن هذه للبارود والرصاص والقنابل، وأولئك للكذب والتهم والمغالطات ؛ وهو أُذُنٌ وعينٌ ولسانٌ وقلم لجريدة إنجليزية كبيرة مـعـروفة بثقل وطأتها على الشرق والإسلام؛ تُصلح بإفساد، وتداوي الحمى بالطاعون ، وتعمـل في نهضة الشرقيين واستقلالهم ما يشبه قطع ثدي الأم وهو في شفتي رضيعها المسكين.
(..)
قــال: ونظــرت إلى الصحفي الإنجليزي نظرةً أكشفُهُ بها فإذا أول الفرق بينه وبين أمثاله عندنا شعـوره أن بلاده قد ربته (للخارج) فهو عند نفسه كأنه إنجليزي مرتين؛ ويأتي من ذلك إحساسـه بعزة المالك وقوة المستعمر، فلا يكون حيث يكون إلا في صراحة الأمر النافذ أو غموض الحـيلـة المبهمة ؛

ويستحكم بهذا وذاك طبعه العملي ، فهو بغريزته مقاتل من مقاتلة الفكر، يلتمـس ميدانه بين القوى المتضاربة، لا يبالي أن يكون فيه الموت ما دام فيه العمل؛ وبهذا كله تراه نافذ البصيرة قائماً على سواء الطريق ، لأن الإنجليزي الباطن فيه يوجِّه الإنجليزي الظاهر منه ويُسانده، وفي أعماق الاثنين تجد إنجلترا وليس غير إنجلترا.
ثم تفرَّست في الرجل أريد كُنهه وحقـيقـتــه فــإذا له نفسٌ مفتوحةٌ مقفلة معاً كغرف الدار الواحدة، يُفتح بعضها لما فيه كيما يُرى، ويقفل بعضهـا على ما فيه كي لا يُرى. وله وجه عملي يكاد يحاسبك على نظراتك إليه ، تدور في هذا الوجه عينان قد اعتادتا وزن الأشياء والمعاني ، يتلألأ في هاتين العينين شعاع النفس القوية الـمـمـرنـة قـد نفت الثقةُ بها نصفَ هموم الحياة عن صاحبها، تُمِدُّ هذه النفس طبيعة مؤمنة بأن أكبر ســرورهــا فـي أعمالها، فواجبها في الحياة أن تعمل كل ما يَحسنُ بها وكل ما يُحسنُ منها.
(..)
قـال صاحب السر: واستأذنت له على الباشا فسهَّل ورحب؛ ثم هممت بالانصراف عنهما ولـكـن الإنجلـيـزي قــال : يا باشا! إنه قد تمكن في روعي أن صاحب سرك هذا متعصب ديني ، وقد علمت أنه ابن فلان القاضي الشرعي فطربوشه ابن العمامة؛ ولقد كان ينظر إليَّ وكأنه يتأمل من أين يذبحني..
فضحك الباشا وقال لـي : يـا فــلان! إن هذا الكاتب من تلاميذ برنارد شو، فهو كأستاذه يجعل لكل حقيقة ذَنَباً كذيل الهرّ ثم يمسكها منه فإذا هي تعضّ وتتلوى..
والتفت بعد ذلك إلى الإنجليزي ثـم قـال لــه : جــــاءني كتابك فإذا كنت تريد رأيي فيما تسميه التعصب الديني عند المسلمين فعجيبٌ أن تضعوا أنتم الغلطة ثم تسألونا نحن فيها. إنك لتعلم أن هذا التعصب الكذب الذي أكثرتم الكلام فـيـه إنما هو لفظ من ألفاظ السياسة الأوربية أرسلتموه إلينا ليقاتل لفظ التعصب الحقيق؛ ومن قبل هذا اخترعتم لفظ (الأقليات) وأجريتموها في لغتكم السياسية لتجعلوا بها لتعصبنا الـوطني شكلاً آخر غير شكله فتفسدوه علينا بهذه المادة المفسدة ؛ وبذلك تضربون اليد اليمنى مــن غـيـر أن تلمسوها إذ تضربونها بشل اليد اليسرى.
إن الإسلام فـي نفـســه عدو شديد على التعصب الذي تفهمونه ، فهو يقول لأهله في كتابه العزيز: ((كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ)).
فإذا كان العدل فـي هــذا الـدين عدلاً صارماً، وحقاً محضاً، لا يميز بشيء البتة، لا ذات النفس التي فيها اشتهاءُ الدم ، ولا أصلها من الأبوين الذين جاءت

منهما وراثة الدم ، ولا أطرافها من الأقربين الذين يلتفُّون حول نسب الدم - إذا كان هذا فأين في هذا العدل محل الظلم؟
(..)
أتريــد مـني التعصب في الإسلام؟ إنه بعينه كتعصب كل إنجليزي للأسطول ، فهو تشابك المسلمين فـي أرجاء الأرض قاطبة وأخذهم بأسباب القوة إلى آخر الاستطاعة لدفع ظلم القوة بآخر ما في الاستطاعة..
وهو بذلك يعمل عملين: استكمال الوجود الإسلامي والدفاع عن كماله.
وإذا أنت ترجمت هذا إلى معناه السياسي كان معناه إصرار جميع المسلمين على نوع الحياة وكرامتها لا على استمرار الحياة ووجودها فقط .
(..)
إن الـتعـصـب فـي حقـيقـته هو إعلان الأمة أنها في طاعة الشريعة الكاملة، وأن لها الروح الحادة لا الـبلـيـدة، وأن أساسها في السياسة الاحترام الذاتي لا تقبل غيره ، وأن أفكارها الاجتماعية حقائق ثابتة لا أشكال نظرية، وأن مبدأها هو الحق ولا شيء غير الحق.
(..)

الهوامش:

*- نقلاً عن مجلة الرسالة ، العدد 165 ، 14جمادى الآخرة 1355هـ ، 31 أغسطس 1963 ، السنة الرابعة.

الصفحة الأخيرة

كيف تشتري وزيراً أمريكياً؟!

جمال سلطان

ديفيد استايذ يهودي من طــراز خـــاص، فـهـو يتولى رئاسة اللوبي الإسرائيلي في أمريكا، والمعروف باسم "إيباك"، الرجل أثار ضجة مــؤخـــراً، لم يقصد لها أساساً، عندما نشرت صحيفة "واشنطن تايمز" تفاصيل مكالمة هاتفية بينه وبين أحد وجهاء اليهود الأمريكيين ، حول طريقة شراء الإدارة الأمريكية الجديدة، بالجملة والمفرق.
المفاوضات بين "إيباك" وبين "بيل كلنتون" كانت تـتـركـز حـول موقعين أساسيين : وزير الخارجية،ومستشار الأمن القومي، من الإدارة الجديدة، ويبدو أن المفاوضات قد نجحت، وتم الشراء، أو الإيجــار "الله أعـلـم"، حيـث تردد أن إجمالي المبلغ الذي وفرته "إيباك " لحملة كلنتون "خمسة وستون مليوناً" من الدولارات ، وقد أشار "ديفيد استايذ" إلى أنه قد تم بالفعل زرع "حوالي اثني عشر من الأصدقـاء - التـعـبـيـر لاستايذ - في مقر قيادة كلنتون ،وأنهم جميعاً سيتولون مناصب قيادية في الإدارة الأمريكية الجديدة".

رئيس اللوبي الإسرائيلي ، أضاف معلومة أكثر أهمية، وهـي أن السيناتور "آل غور" نائب الرئيس ، هو - على حد التعبير الحرفي - "ملتزم معنا"، ولكنه - في الحقيقة - لم يوضح المبلغ بدقة! كما أن الأمر انتهى بفضيحة استقال على أثرهـــا الـمستر "ديفيد" في محاولة للتخفيف من أبعادها.
الـمـزاد الأمريكي يعقد كل أربع سنوات ، وأنا أنصح تجار القضية الفلسطينية أن يوجهوا بعض "المـال الحرام" إلى هذا المزاد، عساهم يفيدون ، بدلاً من التفرغ للتهديد بإطلاق النار على المجاهدين في الأرض المحتلة، أو تشبيههم بقبائل الزولو في جنوب أفريقيا.

تمت بعون الله والحمد لله
